المكتبة الأزهرية

مخطوطة

البلاغة العالية في علم البيان

المؤلف

عبدالمتعال الصعيدي

البلاغة العالية

في علم البيان

وفق شروط المعلم

تأليف
عبد المتعال الصعيدي
الأستاذ
بكلية اللغة العربية
بكفر الشيخ
بالجامع الأزهر

٢٧٩٠
٧٥٦.١

شبكة الألوكة
www.alukah.net

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي خلق الإنسان، وعلمه البيان، وجعل مزيته على غيره من أنواع الحيوان

والصلاة والسلام على محمد الذي خُصَّ بمعجزة القرآن من جنس البيان، لتكون معجزة باقية على مرّ الزمان، وحجة ظاهرة للناس ما بقي على الأرض إنسان

وبعد فهذا كتابي - البلاغة العالية في علم البيان - وضعته على نمط كتابي - البلاغة العالية في علم المعاني - يلخص علوم البلاغة من الصرف والأغلال التي وقفت في سبيل تحديدها منذ ظهر أول كتاب - مفتاح العلوم - للسكاكي، فتغلب أول الصيغة الفلسفية على الصيغة الأدبية، وجاء المتأخرون من علماء البلاغة فخضعوا في طريقته التقريرية ما ضوا، وغلوا أول الغلو، وزادوا اللُّبْتَ، حتى صارت كتبهم مفسدة لملكة البلاغة، لا طريقا لتربيتها وتخيرها

ولي فيه مع هذا الاختراع في تبويب مسائله، ومنهج وجوه النقد لما يستحق النقد فيه أرجو أن أكون مجتهدا مأجورا في ذلك العلم، والله أسأل أن ينفع به، وأن يجعله خالصا لوجهه

علم البيان

تعريف السكاكي للبيان على أنه علم المعاني

قال السكاكي في أول ما فصل به علوم البلاغة الثلاثة - المعاني والبيان والبديع - فجعل لكل منها وظيفته ومسائله بمقتضى تعريفه، ولكنه حين أراد تعريف علم البيان لم يفصل فيه به وظيفته ووظيفة علم المعاني، بل عرّفه بأنه علم يعرف به إيراد المعنى الواحد في طرق مختلفة في وضوح الدلالة عليه وبالنقصان ليحترز بالوقوف على ذلك عن الخطأ في مطابقة الكلام لتمام المراد منه (١)

فجرى في تعريفه على أن علم البيان شعبة من علم المعاني لا ينفصل عنه إلا بزيادة اعتبار إيراد المعنى الواحد في طرق مختلفة فيما ذكره فيه، وربما يجري عنده علم البيان من علم المعاني مجرى المركب من المفرد، لأن الكلام لمقتضى الحال الذي هو مرجع علم المعاني تعتبر عنده في علم البيان مع زيادة إيراد المعنى الواحد في طرقه المختلفة على ما ذكر في تعريفه له

وربما يكون لعلم البيان عنده وظيفته يشارك في إحداها علم المعاني وينفرد بالأخرى عنه، فهو يبين مثلا كيف أورد الشعراء الكناية عن الجود في طرق مختلفة، فقال بعضهم شعراء الحماسة:

وما يك في منعيب فإني ... جبان الكلب مهزول الفصيل

وقال أبو نواس:

فما جازه جود ولا حل دونه ... ولكنه يصير الجود حيث يصير

وقال حافظ إبراهيم من شعراء عصرنا:

خبّرتنا حربة لما كذبتنا ... ما الذي يفعل البلى بالجواد (٢)

كيف أمسى وكيف أصبح فيه ... ذلك الهيكل الكبير الرماد

فبين كيف أورد هذا المعنى بالتشبيه في طرق مختلفة أيضا، وقال

(١) مفتاح العلوم ص ٨٦ (٢) جربة منادى مرخم أي يا جربة وهي فرسه معروفة بصدق الأخبار

بديع الزمان الهمذاني:

يا ذا يحلك صوب الغيث منسكبا : لوقاه طلعة الحيا بمطر الذهبا

وقال زياد بن حمل:

هم البحور عطاء حين تسألهم : وفي اللقاء إذا لاقى بهم بهما (١)

ولكنه يبحث عند السكاكي في هذه الطرق عن مراعى قدر ما يقتضيه الحال في اختلافها بالزيادة في وضوح الدلالة وبالنقصان، وهذا بمراعاة ما يقتضيه خطاب الذكي وخطاب الغبي، لأنه الأول يناسبه دقة الدلالة، والثاني يناسبه وضوحها، والاختلاف في ذلك كونه بقرب المعنى المجازي وبعده وبوضوح القرينة الدالة على إرادة المعنى المجازي وخفائها

ورد أن شعبة ورد الشيلي ما يراه السكاكي من أن علم البيان أخص من علم المعاني وأنه منزلة منه منزلة المركب من المفرد، لأن الأعم موجود في ضمن الأخص، فيلزم أن يذكر علم المعاني في علم البيان، وليس الأمر كذلك، ثم ذكر أنهم قد يقولون إن معرفته موقوفة على معرفة علم المعاني، فيكون مرادهم بذلك أنه يستحسن لمن لا يدري ما لا أن علم المعاني جزء من علم البيان، وأجاب عنه بعدم تسليم هذا اللازم أيضا لجواز أن يعلم الإنسان حقيقة التشبيه والكناية والاستعارة وغيرها من علم البيان ولا يعلم تطبيق الكلام على مقتضى الحال (٢)

وهذا هو الوجه عندي، لأنه اعتبار المطابقة لمقتضى الحال في علم البيان كاعتبارها في علم البديع، وإذا كانت لم تقتض أن علم المعاني جزء من علم البديع فلا يقتضي ذلك في علم البيان أيضا، وإذا كان علم البيان يتوقف على علم المعاني من هذه الجهة فإنه علم المعاني يتوقف على علم النحو من جهة اشتراط الفصاحة التي يبحث عنها في علم البيان في البلاغة التي يبحث

(١) بهم جمع بهمة وهو الشجاع (٢) عروس الأفراح جـ٢ ص ٦١ من شروح التلخيص

عنها علم المعاني، فكل منهما حينئذ يتوقف على الآخر من هذا الاعتبار، ولكن هذا لا يؤثر في تميز كل منهما بحقيقته ومسائله عن الآخر

ويمكن أن يكون من وظيفة علم البيان البحث في مناسبة الطرق المختلفة بالزيادة في وضوح الدلالة وبالنقصان لخطاب الذكي وخطاب الغبي وغيرهما من المقامات لأنه لا شأن له بمراعاة مقتضى الحال، وإنما وظيفته أن يبحث في فساد التشبيه في قول امرئ القيس:

ألم تسأل الربع القديم فينطق : كأني أنادي أو أكلم أخرسا (١)

لأنه لا يقال كلمت حجرا فلم يجب فكأنه كلمه حجرا، وإنما الجيد عند السكاكي قول كثير:

فقلت لها: يا عز كل مصيبة : إذا وطنت يوما لها النفس ذلت

كأني أنادي صخرة حين أعرضت : من الصم لو تمشي بها العصم زلت (٢)

وكذلك يبحث في فساد الاستعارة في قول أبي تمام:

رقيقة حواشي الحلم لو أن حلمه : بكفيك ما ماريت في أنه برد (٣)

لأن الرقة لا تستعار للحلم، وإنما يوصف بالرجاحة والرزانة، كما قال النابغة:

وأعظم أخلاقا وأكرم سيدا : وأبر مشفوعا إليه وشافعا

ولا يبحث في مطابقة شيء من ذلك لمقتضى الحال لأنه لا يعنيه، ولكنه ربما ينظر أحيانا في ذلك على أنه شرط في بعض فروعه كما سيأتي، لا على أنه جزء منه

وعرف الخطيب القزويني علم البيان كما عرفه السكاكي مع شيء من التغيير فيه على عادته في ترتيب عباراته، فذكر أنه علم يعرف به إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة في وضوح الدلالة، فلم ينظر فيه إلى اعتبار المطابقة لمقتضى الحال كما في تعريف السكاكي، ولكنه جاراه في أنه اختلاف طرق الدلالة يكون في حدود وضوح الدلالة، ولم يجعله في وضوح الدلالة وخفائها كما جاراه في تعريف بعضهم لعلم البيان، وإنما جعل بعضهم الاختلاف في وضوح

تعريف الخطيب لعلم البيان

(١) عصمين اسم موضع (٢) العصم جمع أعصم وهو الظبي في ذراعيه أو أحدهما بياض وسائره أحمر (٣) البرد الكساء، خ ط

الدلالة وخفاؤها لأنه خفاؤها قد يكون مطلوبا أحيانا، كما في المجازات والكنايات الدقيقة التي يُحاذَر بها خاصة الناس، ولكنه خفاء لا يصح أن يصل إلى درجة التعقيد المعنوي الذي يحترز عنه بعلم البيان، كما في قول الحُطَيئة:

ومهما يطلب منا آل لأي : نجده الأمور إلى عُلاها

إذ أراد به أنه مهما يطلب هذا يلق صعوبة كما يلقى الصاعد من أسفل إلى علو فلم يعبّر عنه تعبيرا واضحا

ونقل السبكي عن الطيبي أن خفاء الدلالة هو المطلوب لا وضوحها، لأن الكلام كلما كان خفيّ الدلالة كان أبلغ[1] وعندي أنه كلامه وضوح الدلالة وخفاؤها لا يطلب لذاته، وإنما يطلب عند اقتضاء المقام له على ما سبق في خطاب الذكي وخطاب الغبي، كما أنه لا خلاف في أنه خفاء لها التعقيد قبيح غير مطلوب

نقد تعريف الخطيب

وللسبكي نقد لتعريف الخطيب يرد على تعريف السكاكي أيضا، وهو أنه علم المعاني يمكنه أن يقال فيه إنه يعرف به إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة في وضوح الدلالة، لأنه الإيجاز والإطناب والمساواة طرق مختلفة في ذلك وكذلك وجوه الحذف والذكر والتقديم والتأخير وغيرها مما هو فروع علم المعاني[2] وعندي أنه مثل هذا لا يرد عليها، لأنه المراد بالاختلاف في ذلك هنا ما يكون بسبب قرب المجاز وبعده ووضوح القرينة وخفائها كما سبق، ومثل هذا لا يأتي في علم المعاني، وما كان للسبكي أن يشغل نفسه في علم البيان بمثل ذلك النقد التافه

وللشيخ علي عبد الرازق نقد آخر عليها، إذ قال في أماليه إنه لا يدرك وجها للقول بأن علم البيان يبحث عن إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة في ذلك، لأنه هذا المعنى لم يكن يجول في أذهان المتقدمين الذين وضعوا قواعد هذا الفن، فما كان عبد القاهر ومن قبله يفهمون في المجاز والكناية والتشبيه أنها طرق مختلفة في تأدية المعنى الواحد، وهذا إلى أنه أمر ليس بذي شأن يدعو إلى البحث عنه، وإلى معاناة استخراج قواعده وشواهده، ولكن حين توجهوا إلى النظر في هذه الأبواب كانوا يقصدون به البحث عن أسرار بلاغة الكلام، لا عن طرق التأدية المختلفة (1)

وعندي أنه تغفل في أماليه عما استقر الرأي عليه آخر أمره تخصيص علم المعاني بالبحث في نظم الكلام من جهة مطابقته لمقتضى الحال، وهذا هو البحث في أسرار البلاغة ومن تخصيص علم البيان بالبحث في طرق الدلالة من التشبيه والمجاز والكناية والكناية للاحتراز عن التعقيد المعنوي فيها، وهذا هو البحث في أسرار الفصاحة فالكل من العلمين خصائصه في ذلك، وليس من شأن علم البيان البحث عن أسرار البلاغة بعد اختصاصه بالبحث في أسرار الفصاحة

ولكني أرى مع هذا أن علم البيان بعد تعريفه بذلك لا يُعنى في بحثه في أبواب التشبيه والمجاز والكناية عن وضوح الدلالة فيها وخفائها بما يعنى بأمور تختلف بها مراتب الفصاحة بالقطع عن اختلافها في ذلك، ولذا أرى أن يوضع لعلم البيان تعريف جديد يميزه عما يعنى به من ذلك، مع مراعاة اختصاصه بالبحث في طرق الدلالة

تعريف جديد لعلم البيان

فالأحسن أن يقال في تعريف علم البيان إنه علم يعرف به أحوال دلالة الكلام من حيث اختلافها في مراتب الفصاحة، لأنه يمتاز بالنص على ثمرة علم البيان من البحث في وجوه فصاحة الكلام، كما يمتاز تعريف علم المعاني بالنص على ثمرته من البحث في وجوه بلاغة الكلام، إذ يقال في تعريفه إنه علم يعرف به أحوال اللفظ التي يطابق بها مقتضى الحال

(1) أمالي علي عبد الرازق في علم البيان وتاريخه ص ٦٧

(1) عروس الأفراح جـ١ ص ٢٦٢ وشروح التلخيص (2) عروس الأفراح ص ٢٦١ وشروح التلخيص

www.alukah.net

ولا شك أن هذا له فائدته في قصر البحث في علم البيان على ما يكون له أثر في ثمرته، حتى لا يمضي البحث فيه فيما يمضي في التشبيه مثلا من تقسيماته التي لا تحصى بالنظر إلى أركانه وغير أركانه، مما شأنه اتجاه البحث فيه إلى الطريقة التقريرية المحضة

الدلالة والدلالة الوضعية تنقسم إلى دلالة مطابقة ودلالة تضمن ودلالة التزام كما هو معروف في علم المنطق، وعلم البيان يسمي دلالة المطابقة دلالة وضعية ويسمي كلا من دلالة التضمن ودلالة الالتزام دلالة عقلية، والدلالة العقلية في علم البيان هي التي يبحث عن طرفيه، لأنه اللزوم في دلالة الالتزام يختلف قربا وبعدا، وكذلك يختلف ظهورا وخفاء، وتتفاوت بهذا مراتب فصاحة الكلام تفاوتا عظيما، وقد يصل الأمر في ذلك إلى التأثير في نفس المتلقي ما يكون به التفاوت فيه أعظم ما يكون التفاوت في وضوح الدلالة وخفائها، وكذلك دلالة التضمن، لأن دلالة اللفظ على الجزء القريب ليست كدلالته على الجزء البعيد، وبعضهم يرى أن دلالة التضمن مثل دلالة المطابقة في عدم تفاوتها في ذلك، ويرد قوله تعالى (يجعلون أصابعهم في آذانهم) فإنه المراد أنه فيه أطراف الأنامل بدلالة التضمن، وهي تفيد من المبالغة في إعراضهم عن السماع ما لا يفيده أن يقال: يجعلون أطراف أناملهم في آذانهم وقد يكون اللزوم في دلالة الالتزام عرفيا لا عقليا، كما في قول أبي فراس:

إذا ما أبصر الضيف مقبلا ... يكلمه من حبه وهو أعجم

فإنه أنس الكلب بالضيف يدل عرفا على كرم صاحبه، والحق عندي أنه هذا يمكن أن يدخل في اللزوم العقلي هنا وإنه كان عرفيا

وأما دلالة المطابقة فلا يأتي فيها عندهم من التفاوت في ذلك ما يأتي في دلالة الالتزام والتضمن، لأنها دلالة وضعية، وما كان بالوضع لا يتفاوت قربا وبعدا، ولا ظهورا وخفاء، لأن الوضع متى عرف

الدلالة المتفاوتة في الفصاحة

عرفت دلالته لا أرى تفاوت، وقد تتفاوت دلالة المطابقة من غير جهة الوضع بتبني من التقييد اللفظي ونحوه، كما في قول الفرزدق:

وليست خراسان التي كان خالد ... بها أسدا إذ كان سيفا أميرها (1)

يريد - وليست خراسان بالبلدة التي كان خالد بها سيفا إذ كان أسدا أميرها - وفهمه من شعره في غاية الصعوبة، لما فيه من التقييد اللفظي، ولكن هذا ليس تفاوتا في مراتب الفصاحة، بل هو نقصه لأصله أصلا، على أن العيب فيه لا يرجع إلى الدلالة الوضعية، وإنما يرجع إلى سوء نظم الكلام، ولكن العلوي في الطراز يقول إن المفهوم من علم البيان هو الفصاحة، وهي غير مقصورة على الكلم المفردة دون المركبة، فلا يبعد أن يدخل كل هذا عنده في علم البيان (2)

أبواب علم البيان

وعلى هذا الأساس جرى علماء البيان على حصر أبوابه في ثلاثة أبواب:

1) باب التشبيه
2) باب المجاز اللغوي
3) باب الكناية

نقل أبواب من المعاني والبديع إلى البيان

وإني أرى أنه ينقل المجاز العقلي من علم المعاني إلى علم البيان، لأنه لا يدخل في نظم الكلام الذي يبحث فيه علم المعاني، وإنما يدخل في طرق الدلالة التي يبحث عنها علم البيان، ولا يصح التفريق في هذا بين المجاز اللغوي والمجاز العقلي

كما أرى أن دلالة المطابقة قد تتفاوت قربا وبعدا وظهورا وخفاء كدلالة الالتزام ودلالة التضمن، ويكون هذا بحسب الاختلاف في الإلف وكثرة الاستعمال، وبهذا تتفاوت إلى دلالة صريحة لا تورية فيها، وإلى دلالة فيها تورية قريبة أو بعيدة، وكذلك تتفاوت في

(1) يريد خالد بن عبد الله القسري وأسد أبو خراسان بعده، وهو مدح لخالد وهجاء لأسد (2) الطراز ج 1 ص 11، وسيأتي استدراك على هذا في خلاف في التشبيه أنه مجاز أو حقيقة

www.alukah.net

طرق الإبهام والمغالطة واللغز، وهذه الطرق الأربعة يقصد فيها إلى إخفاء الدلالة وتعسيرها، ولهذا ما يرتبط به اختبار فطنة السامع ونحوه.

ولهذا أرى أيضا نقل هذه الأبواب من علم البديع إلى علم البيان، وحينئذ تكون أبواب علم البيان خمسة لا ثلاثة:

١) باب التشبيه
٢) باب المجاز اللغوي
٣) باب المجاز العقلي
٤) باب الكناية
٥) باب التورية والإبهام والمغالطة واللغز

باب التشبيه

التشبيه إلحاق أمر بآخر في معنى مشترك بينهما بأداة كالكاف ونحوها، كقول توفى في وصف طيارة:

هل الفؤاد ذرى شمأ وجرى .. في عنانيه له نار وماء
وجناح غير ذي قادمة .. لجناح النحل مصقول سواء

تعريفه وأركانه

وهذا التعريف يشتمل على أركان التشبيه الأربعة: المشبه وهو الأمر الأول في التعريف، والمشبه به وهو الأمر الآخر فيه، ووجه الشبه وهو المعنى المشترك بينهما، والأداة وهي الكاف ونحوها من كل ما ينبئ عن التشبيه صريحا أو ضمنا، فيدخل في التشبيه نحو قولك لمن سألت فلانا المسألة به: أريد كالك من التجريد المعدود من المحسنات البديعية، وكذلك نحو قول الشاعر وهو من التجريد أيضا:

تمضي المواكب والأبصار خاشعة .. منا إلى الملك الميمون طائره
قد جرثمة فوق بشر في ناجه قمر .. في درعه أسد تخشى أظافره

بخلاف ما كان من التجريد مثل قولك: لي من فلان صديق حميم، ونحو قول الأعشى:

ودع هريرة إن الركب مرتحل .. وهل تطيق وداعا أيها الرجل (١)

لأنه كل منها لا ينبئ عن تشبيه

واختلفوا في أن التشبيه مجاز أو حقيقة، فقال ابن قتيبة وجمهور أهل هذه الصناعة: الخلاف في أن أصل التشبيه من أنواع المجاز، ونصانيفهم كلها تصرح بذلك وتشير إليه، وذهب المحققون من متأخري علماء هذه الصناعة وعدادهم

مجاز أو حقيقة

(١) التجريد في قوله - أيها الرجل - لأنه جرد به من نفسه رجلا يخاطبه

إلى أن التشبيه ليس من المجاز، لأنه يفيد معنى المعاني، وله حروف والفاظ تدل عليه فإذا صرح بذكر الألفاظ الدالة عليه وضعا كان الكلام حقيقة (١).

وقال السبكي: إن ابن الأثير نقل في كنز البلاغة أن الجمهور على أن التشبيه الصريح نحو زيد كالأسد مجاز، ونحن لا نسلم له صحة هذا النقل، ثم ذكر أنه رأى في العمدة لابن رشيق أن التشبيه مجاز لأن المتشابهين إنما يتشابهان بالمقاربة وعلى المسامحة، ثم قال: إن هذا مبني على أن معنى زيد كالأسد مشابهته وجميع الأمور وأن ذلك متعذر، وهذه شبهة ساقطة مبنية على الظن لأن التشبيه لا يدل على المشابهة في جميع الأمور كما ذكر (٢).

ولا تأثير لكون التشبيه من المجاز أو الحقيقة وإنما تركه عظيم لما فيه من الدقة واللطافة، فأما كونه مجازا أو حقيقة فلا أثر فيه كما قال صاحب الطراز وغيره، ولا يتعلق به كبير فائدة، وربما كان الخلاف في ذلك لفظيا (٣)، ولكنه إذا كان حقيقة فإنه الدلالة التي يقولون إنها موضوع علم البيان لا تقتصر كما يقولون على الدلالة العقلية، بل تدخل فيها الدلالة والتشبيه كما قال عبد القاهر مما انفرد العقلاء على شرف قدره وفخامة أمره في فن البلاغة، وتعقب المعاني به لا سيما قسم المثل منه يضاعف قواها في تحريك النفوس إلى المقصود بها، فإذا كان في باب المدح كان أبهى وأفخم، كما في قول الشاعر:

فتى كملت أوصافه حتى أنه ... من الكمل في أوصافه يتفرد

وإذا كان في باب الذم كان مسه أوجع، ووقعه أشد، كما في قوله

(١) الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان ص ٥٤.
(٢) عروس الأفراح ص ٢٩٠ جـ ٤ شرح التلخيص (٣) الطراز ص ٢٦٦ جـ

تعالى (لقد حق القول على أكثرهم فهم لا يؤمنون) إنا جعلنا في أعناقهم أغلالا فهي إلى الأذقان فهم مقمحون، وجعلنا من بين أيديهم سدا ومن خلفهم سدا فأغشيناهم فهم لا يبصرون)

وإذا كان مجاجا كان برهانه أنور، وسلطانه أقهر، كقول أبي العتاهية:

ترجو النجاة ولم تسلك مسالكها ... إن السفينة لا تجري على اليبس

وإذا كان افتخارا كان مداه أبعد، وشرفه أجد، كقول عبد الله:

لا ينزل المجد إلا في منازلنا ... كالنوم ليس له مأوى سوى المقل

وإذا كان اعتذارا كان إلى القبول أقرب، وللقلوب أخلب، كقول المتنبي:

لا تحسبوا أنه رقصي بينكم طربا ... فالطير يرقص مذبوحا من الألم

وإذا كان وعظا كان أشفى للصدور، وألبغ في التنبيه، كقوله تعالى (مثل الذين كفروا بربهم أعمالهم كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف لا يقدرون مما كسبوا على شيء ذلك هو الضلال البعيد) وهكذا الحكم إذا استقريت فنون القول وضروبه، وتبينت أبوابه وشعوبه (١).

وقال ابن الأثير: إن التشبيه يجمع صفات ثلاثة، هي المبالغة والبيان والإيجاز. فإذا قلت - زيد كالأسد - فأنت تريد به أنه متصف بشراسة النفس، وقوة البطش، وشدة المراس، وغير هذا مما يجمعه ذلك التشبيه على إيجاز واختصار (٢).

وإنما كان التشبيه تلك الفائدة لأسباب: منها ما يحصل للنفس

(١) أسرار البلاغة ص ٨٦ (٢) المثل السائر ص ١٩٦

شبكة الألوكة www.alukah.net

سه الأنس به إخراجه من الخفي إلى الجلي الواضح، كالانتقال مما يحصل بالفكرة إلى ما يعلم بالفطرة، أو بإخراجه مما ألفه إلى ما ألفته، أو مما تعلمه إلى ما هي به أعلم، كالانتقال من المعقول إلى المحسوس، فإنك قد تعبر عن المعنى بعبارة تؤديه وتبالغ نحو أن تقول في وصف يوم بالقصر - يوم كأقصر ما يتصور - فلا يجد السامع له من الأنس ما يجده لنحو قولهم - يوم كأيامهم القطا - وقول الشاعر:

ظللنا عند باب أبي نعيم ... بيوم مثل سالفة الذباب

ومن لطائف التشبيه أنه يأتيك من الشيء الواحد بأشباه عدة: نحو أنه يعطيك من القمر الكمال عند النقصان، كقول إبراهيم ورقاء ولديه لعبد الله بن طاهر:

لهفي على تلك الشواهد فيهما ... لو أمهلت حتى تصير تماثلا

لغدا سكونهما حجى وصباهما ... حلما وتلك الأريحية نائلا[1]

ولأعقب النجم المرزّ بديمة ... ولعاد ذاك الطل جودا وابلا[2]

إنه الهلال إذا رأيت نموّه ... أيقنت أنه سيصير بدرا كاملا

أو يعطيك منه النقصان عند الكمال، كقول أبي العلاء المعرّي:

وإنما أنت تبع العيس فابغ نوسطا ... فعند التناهي يقصر المتطاول

توقّى البدور النقص وهي أهلة ... ويدركها النقصان وهي كوامل

(١) الحجى العقل، ويروى كريما بدل حلما (٢) المرزّ من الرزاذ وهو المطر الخفيف، والديمة مطر يدوم في سكون، والطل المطر الضعيف، والجود المطر الغزير

وتفرع منه حالتي كماله ونقصه فوقوع الخفيفة، كقول ابن بابك وإنشاء أبي علي وقد استوزره فخر الدولة مع أبي العباس الضبي:

وأعرت ثوب الملك سطر كماليه ... والبدر في سطر المسافة يكمل

وقول أبي بكر الخوارزمي:

أراك إذا أيسرت خيّمت عندنا ... مقيما وإنه أعسرت زرت لماما

فما أنت إلا البدر إن قلّ ضوءه ... أغبّ وإن زاد الضياء أقاما[1]

وقول البحتري:

دانيه على أيدي العفاة وشاسع ... عنه كل ندّ والندى وضريب

كالبدر أقرب في العلوّ وضوءه ... للعصبة السارين جدّ قريب

وقول المتنبي:

كالبدر من حيث التفت وجدته ... يهدي إلى عينيك نورا ثاقبا

ومن لطائف التشبيه أيضا أنه يعمل عمل السحر في تأليف المتباينين فيأتيك منه بالحياة والموت بمجموعهما، والماء والنار بمجتمعهما، كما قال بعضهم:

أنا نار ومرتقى نظر الحا ... سد ماء جار مع الإخوان

وقال الفرزدق:

والشيب ينهض في الشباب كأنه ... ليل يصيح بجانبيه نهار

وهو ما خونس منه قول بهرس بن عبد الحارث:

حتى كأنه قديمه وحديثه ... ليل تلفع مدبرا بنهار

(١) أخذ على الخوارزمي أنه الإغباب أنه يتخلل به وقتي الحضور وقت يخلو منه والقريض كذلك لأنه يوالي الطلوع ولا يطلع في ليلة دونه ليلة (٢) الأغر الأسود المشربة بحمرة

شبكة الألوكة www.alukah.net

وقول الفرزدق أحسن منه قول بهرس سبكا وصفا، وسبقه السماخ إلى هذا أيضا وقوله:

ولا في بصحراء الإهالة ساطعا :: منه الصبح لما صاح بالليل زمزما

وقال أبو دواد قبل السماخ:

تصبح الرديينيات في جحباتهم :: صياح العوالي والقفاف المقنب (١)

أغراضه والغرض من التشبيه قد يعود إلى المشبه وهو الأعم الأغلب، وقد يعود إلى المشبه به، والأول يأتي على وجوه: منها بيانه حال المشبه إذا كانت غير معروف الصفة قبل التشبيه، كقول البارودي:

والدهر كالبحر لا ينفك ذا كدر :: وإنما صفوه بعد الورى لمع

ومنها بيانه مقدار حاله قوة وضعفا، كقول الحسين بن وهب:

يداك مثل خافية الغراب :: وأقلامك كرهفة الحداد

ومنها تقرير حاله في نفس السامع بإبرازها فيما هي فيه أظهر، كما في قوله تعالى (وإذ نتقنا الجبل فوقهم كأنه ظلة وظنوا أنه واقع بهم خذوا ما آتيناكم بقوة واذكروا ما فيه لعلكم تتقون)

ومنها تزيينه أو تقبيحه، وقد اجتمعا في قول ابن الرومي:

تقول هذا مجاج النحل تمدحه :: وإنه عبث قلت ذاقوا العناكيب

ومنها استطرافه وجعله مستحدثا بديعا لإبرازه في صورة الممتنع عادة فكما في تشبيه الجمر الموقد بحمرة المسك في وجه الذهب، أو لكونه المشبه به نادر الحضور في الذهن إما مطلقا كما في هذا

(١) الرديينيات الرماح، والجحبات رؤوس الأوراك، والعوالي الرماح

التشبيه أيضا، وإما عند حضور المشبه كما في قول ابن الرومي:

ولازوردية تزهو بزرقتها :: بدت لك الرياحين على خمر اليواقيت (١)

كأن نارا فوقها قامت تضعفها :: أوائل النار في أطراف كبريت

فإنه صورة اتصال النار بأطراف الكبريت لا يندر حضورها في الذهن بدون حضور مجرة المسك في وجه الذهب، وإنما النادر حضورها عند حضور صورة التفسخ والاستطراف، أن مشاهدة عنقود عنب لا يلتقيان معا في الذهن ومنها بيانه إمكانه، كما في قول المتنبي:

فإنه تقيء الأنام وأنت منهم :: فإنه المسك بعض دم الغزال

وقول ابن الرومي:

قالوا أبو الصقر منه شيبانه قلت لهم :: كلا لعمري ولكنه منه شيبانه

كم سهم أبي قد علا بابه درى شرف :: كما علا برسول الله عدنانه

والثاني يأتي على وجوه أيضا: منها بيانه الاهتمام بالمشبه به وإظهار أنه مطلوب له، كما في تشبيه الجائع وجها كالبدر في الإشراق والاستدارة بالرغيف إظهارا للاهتمام به، ويسمى هذا النوع إظهار المطلوب، كما حكي عن الصاحب أنه قاضى سجستان دخل عليه فوجده الصاحب متفتنا، فأخذ يمدحه حتى قال:

وعالم يعرف بالشجري (٢)

وأشار إلى الندماء أنه يتطوا على أسلوبه، ففعلوا وأحدث واحد

(١) اللازوردية التفسخ والمراد تشبيه زهرها (٢) نسبة غير قياسية إلى سجستان

شبكة الألوكة www.alukah.net

إلى أداة التشبيه إلى شريف وأنبهه فقال:

أشهى إلى النفس من الخبز (١)

فأمر الصاحب أن تقدم له مائدة

التشبيه ومنها إيهام أن المشبه به أتم من المشبه في وجه الشبه، وهذا هو (المقلوب) الأعم الأغلب فيما يعود الغرض فيه إلى المشبه به، ويسمى هذا النوع التشبيه المقلوب، وهو التشبيه الذي يجعل فيه المشبه مشبها به قصدا إلى ادعاء أنه أكمل منه في وجه الشبه، وله موقع عظيم في إفادة المبالغة، والشرط في استعماله ألا يراد الانتقال فيه متعارفا، حتى تظهر فيه صورة الانعكاس، كما في تشبيه الوجه بالبدر والقد بالقضيب والأعجاز بالكثبان ونحو ذلك، فأما ما لا يعرف حاله ولا يؤلف فلا يجري فيه، فإنه جرى فعلى القلة والندور، ويكون من التشبيه المهجور الذي قد بعد به البلاغة، ولا يتبع هذا من قرينة تدل على المراد فيه من رفع درجة الأدنى إلى درجة الأعلى، ومن محاسن هذا التشبيه قول محمد بن وهيب:

وبدا الصباح كأن غرته :: وجه الخليفة حين يمتدح

وهو وإنه كان يشبه في الظاهر قولهم - لا أدري أوجه أنور أم الصبح؟ وقولهم إذا أفرطوا - نور الصبح يخفى في ضوء وجهه - فإنه فيه خلابة وشيء من السحر ليس في هذه القولية، وهو أنه لما استكثر للصبح أن يشبهه بوجه الخليفة، ويوهم أنه احتشد له واجتهد في تشبيه يفخم به أمره، فيوقع المبالغة في نفس من حيث لا تشعر، ويفيدها لك من غير أن يظهر ادعاؤه، لأنه وضع كلامه وضع من يقيس على

(١) ليس في هذا تشبيه وإنما هو من إظهار المطلوب فقط ومن العلماء من ذهب إلى أنه أفعل التفضيل من التشبيه وهو بعيد

أصل متفق عليه، لا يشفعه من خلاف مخالف، ولا يخاف من رد راد لكم برأيكم

ومنه أيضا قول البحتري:

فلطلعة البدر شيء من محاسنها :: وللقضيب نصيب من تثنيها

فالأصل تشبيه الوجه بالبدر، ولكنه عكس وشبه البدر بوجهها على سبيل المبالغة

وجاء في القرآن الكريم بعضه من التشبيه المقلوب، كما في قوله تعالى (الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس ذلك بأنهم قالوا إنما البيع مثل الربا وأحل الله البيع وحرم الربا فمن جاءه موعظة من ربه فانتهى فله ما سلف وأمره إلى الله ومن عاد فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون) فإنه مقتضى الظاهر أنه يقال إنما الربا مثل البيع، ولكنهم عكسوا لجعلهم الربا هو الحل أقوى حالا من البيع وأعرف

ومنه أيضا قوله تعالى (أرأيت من اتخذ إلهه هواه أفأنت تكون عليه وكيلا) فإنه مقتضى الظاهر أنه يقال هواه إلهه، ولكنه عدل للإشارة إلى إذلالهم واتباع هواهم، حتى جعلوه أصلا لعبادتهم

هذا ويصح قلب كل من طرفي التشبيه إلى الآخر، ولكل تشبيه يكون الغرض منه موضع قلب منه الجمع بين التشبيه والمشبه به في صورة أو انتقال أو لون، ومثل هذا إذا حصل لا يكون من التشبيه المقلوب وإنما هو من التشبيه المجمل، وإنما هو من التشبيه المجمل من الصبح وغرة الفرس بالآخر حتى أريد ظهور شيء وظلام الدهنة

الألوكة
www.alukah.net

التشبيه الحسن والقبيح

ونحو ذلك، فأما إذا كانت الزيادة الحاصلة الناقص بالزائد على سبيل المبالغة في إثبات الحكم للناقص فإنه هنا يمتنع قلب الطرفين فيه، لأنه تنزيل الزائد منزلة الناقص بضرب من المبالغة والإثبات، ولهذا استقبح القلب في قول البحتري:

وليلتنا والراح تجلى كأنها :: فنونة غناء للزجاجة هادي

على باب قنسرين والليل لائح :: جوانبه من ظلمة بمداد

لأنه سواد الليل أقوى من سواد المداد، والليل بذلك أحق وأحرى بأن يكون هو المشبه به، وقد فعل هذا ابن الرومي في مدح جرد بن جعفر الوراق فأجاد:

جبر ابن حفص لعاب الليل :: كأنه الوابل دهم الخيل

يجري إلى الإخوان جبر الخيل :: بغير وزن وبغير كيل

فبالغ في وصف الحبر بالسواد حتى شبهه بالليل، وكأن البحتري نظر إلى قول العامة في الشيء الأسود هو كالنقس[1] ثم تركه من أجل القافية إلى المداد، فأما قول ابن المعتز:

وكأنة الشمس المنيرة دينا :: رجلته حمائد الضراب

فهو حسن مقبول وإنما غلط التفاوت بينه نور الشمس ونور الدينار، لأنه لم يضع التشبيه على مجرد النور والإشراق، وإنما قصد إلى تشبيه الأول بالثاني في خصوص في جنس اللون يوجد في الدينار الخارج من السكة كما يوجد في الشمس، فأما مقدار النور وأنه زائد أو ناقص، وشتاء أو متقاصر فلم يتعرض له

(١) النقس المداد

التشبيه الحسن والقبيح

حسن التشبيه براعاة ما يجب فيه من تناسب الطرفين وغير هذا من وجوه حسن التشبيه، ووجوه التشبيه القبيح بعدم مراعاة هذه الوجوه، وسنذكر في هذه الوجوه أهم ما ينبغي به في هذا الباب

أما التشبيه، وما يجوز من تصريف وما لا، لأنه ليس كل ما يتعرف به المشبه به يقتضي فيه التشبيه بما يتعرف به فيجوز عنه، وجب

ستة وجوه:

ما يناسب فرفي التشبيه - ويكون فيه أن يثبت للمشبه حكم من أحكام المشبه به، فإذا تناسب الطرفين في يكمل التشبيه بهذه الصفة أو كان هناك تباعد بين الطرفين فذلك الذي يرجح ولا يستعمل، كما في قول أبي تمام:

لا تسقني ماء الملام فإنني :: صب قد استعذبت ماء بكائي

على القول بأن قوله ماء الملام تشبيه لا استعارة تخييلية[1] فيكون من إضافة المشبه به للمشبه، فإنه لا مناسبة بين الملام والماء، لأنه الملام مستكره والماء مستلذ، ويروى في تفسير ذلك أنه بعض أهل الجفاة أرسل إلى أبي تمام قارورة وقال له: إبعث لي هذه شيئا من ماء الملام، فأرسل إليه أبو تمام وقال: إذا بعثت إلي بريشة من جناح الذل بعثت إليك شيئا من ماء الملام. وهو تفسير بهذا إذا صح عنه إلى قوله تعالى (واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا) ولا شك أنه الفرق كبير بين التشبيهين، فإنه لا مناسب للذل مناسبة ظاهرة، وذلك أنه الطائر إذا وهن أو تعب بسط جناحه وخفضه وألقى نفسه على الأرض، وللإنسان أيضا يديه جناحان فإذا ذل الطير، وإذا خضع واستكان طأطأ رأسه وخفض من يديه، فحسن عند ذلك التشبيه، وصار تشبيها مناسبا

(١) سيأتي الكلام على هذا وتفصيله في باب الاستعارة التخييلية

شبكة الألوكة www.alukah.net

ومن ذلك أيضا قول أبي نواس في وصف الخمر:

كأنه ياقوتة وأكذوحة :: وزنبقة سنانير تدير عيونها

فلا ملاءمة فيه بين المشبه والمشبه به، ومن العجب أنه يقول هذا ثم يقول في الليل

النار الذي أحسنه في وأجاد، وهو قوله:

كأنا حلول به أكناف روضة :: إذا ما سلبناها مع الليل طيرها

يعني أنهم إذا فضوا ختام الدنانير الخمرية عنه أفواهها فكأنهم في روضة من الرياض

لما يحصل في نفوسهم عند ذلك من الارتياح والطرب، وقد أكثر أبو نواس في تشبيه

الخمر فأحسنه في موضع وأساء في موضع، ومن أساءته قوله في أبيات لامية:

وإذا الماء واقعها :: أظهرت مثل ما به الغزل

لؤلؤا يخدرته :: كانحدار الدر من جبل

فشبه حبب الخمر وانحداره بنمل صغار يخدر به من جبل، وأبعد هذا من قوله

في صفة الخمر:

كأنها صفرى وكبرى من فقاقعها :: حصباء در على أرض من الذهب

وقوله في وصف كأس مصورة:

تدار علينا الراح في عسجدية :: حبتها بأنواع التصاوير فارس

وراد لها الكسرى وفي جنباتها :: مزاهر رد بالقسي الفوارس (1)

فللخمر ما زرت عليه جيوبنا :: وللماء ما حازت عليه القلانس

ومن التشبيه الذي يكون فيه المشبه به أمرا واقعا غير مستنكر، ليوافق المقصود بالتشبيه

من الإيضاح والبيان، ولهذا عاب نقاد الكلام قول المتنبي:

كأن الغيط من سلم عليها :: أراجيز أسلم تهجو غفارا (2)

(1) تدر ربا مضارع أدر ي الصيد ختله (2) الغيط صوت غليان موج البحر وأسلم وغفار قبيلتان، والغيط أيضا صوت السيل في الوادي

وقال له: أخطأت، ما هجت أسلم غفارا قط. ومن هذا أيضا قول أيمن:

فإنا قد وجدنا أم بشر :: كأم الأشدمين كأبا وليدا

لأن أم الأشدمين ليست كذلك، فأما قوله تعالى في شجرة الزقوم

(إن شجرة تخرج في أصل الجحيم، طلعها كأنه رؤوس الشياطين) مع أن

رؤوس الشياطين غير مشاهدة: فإنما حسنه لما استقر في نفوس الناس

من قبح الشياطين وصارت في منزلة المشاهد، وهذا مثل ما استقر في نفوسهم

من حسن الحور العين حيث صارت واشتهروا بها وإن لم يشاهدوها

وقالوا في التشبيه: أنه يكون المشبه به أتم أو أعرف بوجه الشبه من المشبه، كون أتم أو

أعرف بوجه الشبه لأنه إذا كان الغرض من التشبيه المحافظة على ناقص كالمثل وحسن أن يكون المشبه

به أتم في وجه الشبه، وإذا كان الغرض من التشبيه البيان والإيضاح

وجب أن يكون المشبه به أعرف بوجه الشبه فيه، وقد أخطأ الناقد في هذا الباب

السابقة والتشبيه تتعدى هذه الغرض، فلا يدخل التشبيه على كل حال

من تقدير لفظة أفعل، فإذا لم يقدر فيه هذه اللفظة لم يكن تشبيها

بليغا، ولهذه القاعدة قال المري:

ظلمات بعضها فوق بعض إذا أخرج يده لم يكد يراها

وقاعدة التشبيه فضلا ما يتخيل

وما استثنى ابن حجة من ذلك مقام الهجاء فالبلاغة فيه أن يشبه الأعلى بالأدون

كقول ابن الرومي يهجو المعلم الأعور:

كأنه شرم يعمل حبه مترجه :: عند البرازي بإذ الروث في وسطه (1)

وإذا عرفت ما سبق للفصل في هذا وجه عرفت أن الذي يكون المشبه أتم في وجه الشبه مطلقا كما ذهب

إليه بعضهم، بل يكفي أن يكون أعرف به وإن لم يكن أتم فيه من المشبه، ولهذا مدح

أبو تمام أحمد بن المعتصم بقصيدته:

ما زود قوفك ساعة من بأس :: نقصى دنام الأربع الأدراس

فلما قال في مدحه:

إقدام عمرو في سماحة حاتم :: في حلم أحنف في ذكاء إياس (2)

قال له أبو يوسف يعقوب بن الصباح الكندي الفيلسوف وأراد الطعن

عليه: الأمير فوقه من وصفت، كيف تشبه ولد أمير المؤمنين بأعراب

(1) ترجمة شده

(2) يريد عمرو بن معدي كرب وحاتما الطائي والأحنف بن قيس وإياس بن معاوية

شبكة الألوكة www.alukah.net

أجلاف، وهو أشرف منزلة وأعظم حيلة؟ فانقطع وأطرقه ثم رفع رأسه وأنشد:

لا تنكروا ضربي له من دونه :: مثلاً شروداً في الندى والباس
فالله قد ضرب الأقل لنوره :: مثلاً من المشكاة والنبراس

واستمر في إنشاده حتى أتم القصيدة، وهو يشير في ذلك إلى قوله تعالى (الله نور السموات والأرض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح في زجاجة الزجاجة كأنها كوكب دري يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار نور على نور يهدي الله لنوره من يشاء ويضرب الله الأمثال للناس والله بكل شيء عليم)

ومن أجل هذا الوجه في التشبيه عاب ابن الأثير على بعض الكتاب[1] من أهل مصر ذكر حصان من حصون الجبال فقال مشبهاً له - هامة عليها من العمامة عمامة، وأنملة هضبة الأصيل فكأنه الهلال نزل قلانسة - فإنه أخطأ في قوله أنملة، وأي مقدار للأنملة بالنسبة إلى تشبيه حصن على رأس جبل، وأصاب في المناسبة بينه وبين ذكر الأنملة والقلانسة وتشبيهها بالهلال، وقيل إنه على هذا مثل قوله تعالى (والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم) ومثل قول ابن الرومي في ذم الدهر:

تأتي على القمر المنير نواقصاً :: حتى يرى ناحلاً وهو عرجون

وقد أخذه ابن الرومي من قول أبي نواس:

وقد أخذه ابن الرومي من قول أبي نواس

(١) هو أبو علي عبد الرحيم البيساني المؤرخ الفاضل وانتصر له ابن حجة وهذا التشبيه وجعله غاية فاضلة لا تدرك - خزانة الأدب وغاية الأرب ص ١٧٠

والجواب عن هذا أن القرآن شبه الهلال بالعرجون القديم في هيئة تحوله واستدارته لا في مقداره، فإن مقدار الهلال عظيم بالنسبة للعرجون إليه، لكنه في رأي النظر كالعرجون هيئة لا مقداراً، وأما هذا الكلام فإنه تشبيع ليس على هذا النسق، لأنه شبه صورة الحصن بأنملة في المقدار لا في الهيئة والشكل، وهذا غير حسن ولا مناسب، وإنما ألقاه فيه أنه قصد الهلال والقلانسة مع ذكر الأنملة، فأصاب منه جهة وأخطأه من جهة، لكنه خطاه فطن على صوابه[1]

ومما يعاب لهذا أيضاً قول حافظ إبراهيم على لسان اليتيم:

أمسى يرنحني الأسى :: والبؤس يترنح السكرانا
لأنه اليتيم البائس قد يجهل كيف يترنح السكران

وقد دخل في هذا أيضاً تشبيه المحسوس بالمعقول، وهو تشبيه جاء وأشعار المحدثين فاختلف فيه علماء البيان، فذهب أبو هلال العسكري إلى أنه تشبيه رديء[1]، وذهب الأكثرون إلى استحسانه لما فيه من اللطافة والدقة، كما في قول الشاعر:

ومما يعاب أيضاً قول الشاعر:

وبعد سأدير اعي والتشبيه جانب اللفظ المعنى وإن كان يخل اللفظ التعقيد ويوجب مراعاة اللفظ والمعنى

وبصحة معناه واستقامته، ولهذا لم يحسن التشبيه في قول الشاعر:

فأصبحت بعد خط بهجتها :: كأنه قفر رسومها قلما

لأجل ما فيه من التعقيد، وتقدير البيت: فأصبحت قفر اسبد بهجتها كأنه قلما خط رسومها

(١) المثل السائر ص ١٥٢ (٢) كتاب الصناعتين ص ١٨٤

شبكة الألوكة www.alukah.net

وكانه أبو عمام تهاونوا فهذا حتى عليه ساجناه، لأنه لم يسأل وكثير منه خاطأ
الممدوح بتجسيمه ظاهر اللفظ، بل اقتصر على صميم التشبيه، وأطلعه اسم
الجنس الحسي كما طلاعه الشريف النبيه، وهذا مثل قوله:

وإذا ما أردت كنت رشاءً ∴ وإذا ما أردت كنت قليبا

فنفصل وجه الممدوح بأنه رشاء وقليب
وأخذ المنفلوطي على سوء استقامة معنى التشبيه في قوله:

فؤوبيتم عمر ∴ والوفود تفتدي

وهو من قصيده له في وصف ليلة راقصة يقصر عابديه
فشبه الخليفة بعمر رضي الله عنه في هذا المجلس الذي أقيم للطرب والغزل
والرقص والقصف، وهذا غير لائق بمقام عمر إلا إذا أراد به الشاعر
عمر بن أبي ربيعة (١)

وكذلك أخذ زكي مبارك على خليل مطران قوله في رثاء:

شربت بعيه فما تؤوب ∴ فكأنما حسبت يذوب
أرأيت في الكأس الطلى ∴ دررًا وقد صعدت تصوب
هو ذاك في الدوح الدجى ∴ طفق الدراري والثقوب
لا فرق بينهما كبيرها ∴ وصغيرها فيما يئوب

لأنه مقام الرثاء يجل عنه ذكر الحبب، وليس لك أن تشبه الشهاب
حيث يغيب بالحبب حيث يذوب (٢)

مناسبة وخامس عشر الغسا أنه يكون التشبيه مناسبا للزمانة
الزمانة والمكانة ومكانه، لأن التشبيه ونحوه
من أبواب البلاغة والفصاحة يتغير مثلهما بتغير الزمانة والمكانة
ويتفاوت بذلك تفاوتهما به
والمكانة القدماء لما ذكر ابن رشيق يأتون به بتشبيهات رغب المولدون إلا

(١) مختارات المنفلوطي ص ١٦٦ (٢) الموازنة بين الشعراء ص ٥٠
وإرادة ابن أبي ربيعة تهكم بنفسه
على سوء فعله لأنه لا يريده

القليل عنه مثلا إستبشاعا لأمره، وإن كانت بديعة في ذاتها، مثل قول
امرئ القيس:

وتعطو برخص غير شثن كأنه ∴ أساريع ظبي أو مساويك إسحل (١)

فالبنانة لا محالة شبيهة بالأسروعة وهي دويبة تكون في الرمل، وتسمى
جاعرة بنات النقى، وإياها عنى ذو الرمة بقوله:

خراعيب أمثال كأن بنانها ∴ بنات النقى تخفى مرارا وتظهر (٢)

فهي كأحسن البنانة ليناً وبياضاً وطولاً واستواء ورقة وحمرة، لكن
ظفرها أصابه الحناء، وربما كانه أسرة أسود، ولكنه نفس الحضري المولد
إذا سمعت قول أبي نواس في وصف الكأس:

تعاطيكها كف كأن بنانها ∴ إذا اعترضت العين صف مدارى

أو قول ابن الرومي:

سقى الله قصرا بالرصافة ساقني ∴ بأعلاه قصري الدلال صافي
أشار بقضبان من الدر قعت ∴ بواقيت حمرا فاستباح عفافي

أو قول ابن المعتز:

أشرنه على خوف بأعصاد فضة ∴ مقومة أنامها عقيقه

كانه ذلك أحب إليه من تشبيه البنانة بالدود في بيت امرئ القيس
وإنه كانه أشد إصابة (٣)

ثم قال ابن رشيق: وكأني أرى بعضهم سمى الإبهام الأعراض لأنها

(١) تعطو تتناول، والشثن الخشن، وظبي اسم مكانه، والإسحل شجر يستاك به
(٢) خراعيب جمع خرعوبة وهي الشابة الحسنة الخلق الرخصة (٣) العمدة ص ٢٠٠ ج ١

فدفن على هذا المذهب وقال رد على امرئ القيس ولم أفعل، ولكني بينت أنه طريقة العرب القدماء، وكثير من الشعر قد خولفت إلى ما هو أليق به وأمثل بأهله، وقد عاب الأصمعي بيت يدي الرسيد قول النابغة:

نظرت إليك بحاجة لم تقضها :: نظر السقيم إلى وجوه العُوَّدِ

على أنه تشبيه لا يليق ولا يشبه غيره صاحبه، ولم يجد فيه المطعن إلا بذكر السقيم، فإنه رغب عنه تشبيه المحبوبة به، وفضل عليه قول عدي بن الرقاع العاملي:

وكأنما وسط النساء أعارها :: عينيه أحور من جآذر جاسم

وسنانه أقصده النعاس فرنقت :: في عينه سنة وليس بنائم

وهذه أظرف التشبيهات المستحدثة في عصرنا قول البارودي في وصف الخوص:

وترى الثريا في السماء كأنها :: خلقان قُرِطَ بالجمان مرصع

بيضاء ناصعة كبيضة نعامة :: في جوف أدحيٍّ بأرضه بلقع

وكأنها الزهر توقد نورها :: بالقهر باءة في سماوة مصنع

والتشبيه المستحدث في ذلك ما جاء في بيته الأخير، فإنه تشبيه للثريا بخلقان قرط مرصع بالجمان أو بيضة نعامة في جوف أدحي بأرضه بلقع يجري في أجياد سوء التشبيه، بخلاف التشبيه في بيته الأخير

مراعاة جهة وجه الشبه

فإنه تشبيه سديد لأنه راعى في التشبيه الجهة المقصودة منه، فوجب الاقتداء في التشبيه هذه الجهة والوقوع في الخلاف فيما يقال - النحو في الكلام كالملح في الطعام - فالمعنى أن الكلام لا ينتفع به إلا بمراعاة أحكام النحو، كما أن الطعام لا ينتفع به ما لم يصلح بالملح، وظنه بعضهم أن وجه الشبه أن القليل من النحو مفيد والكثير منه كالملح مفسد، وهو خطأ لأنه الزيادة والنقصان في جرم ما أحكام النحو محال، إذ لا بد من مراعاة جميعه والكلام

وإلا لم يفد، فلا يكون فيه شيء من الملح، ويفسد التشبيه لعدم وجود الوصف المشترك به الطرفين

ومما يتصل بهذا ما حكي أن ابن شرف القيرواني أنشد ابن رشيق قوله:

غيري جنى وأنا المعاقب فيكم :: فكأنني سباية المتندم

وقال له: هل سمعت هذا المعنى؟ فقال ابن رشيق: سمعته وأخذته أنت وأفسدته، أما الأخذ فيه قول النابغة حيث يقول:

حلفت فلم أترك لنفسك ريبة :: وهل يأثمنّه ذو إمة وهو طائع[1]

لئن كنت قد بلغت عني خيانة :: لمبلغكها الواشي أغش وأكذب

لمُبلغني ذنب امرئ وتركتني :: كذي العُرّ يُكوى غيره وهو راتع

وأما الإفساد فلأنه سباية المتندم أول شيء يتألم منه فلا يكونه المعاقب غير الجاني، وهذا بخلاف بيت النابغة فإنه الذي يكوى منه الإبل يألم وما به عر ألبتة، وصاحب العر لا يألم جملة

وصاحب رعاية أيضا أنه قد يقع بعد أداة التشبيه أمور يظن أنها المقصود أمر منتزع منه بعض ما فيقع الخطأ لكونه أمرا منتزعا منه جميعها، كما في قول الشاعر:

كما أبرقت قوما عطاشا غمامة :: فلما رأوها أقشعت وتجلت

فإنه ربما يظن أن الشطر الأول منه تشبيه مستقل بنفسه لا حاجة به إلى الثاني، على أنه المقصود به ظهور أمر مطمع له هو شديد الحاجة إليه، ولكنه بالتأمل يظهر أنه مغزى الشاعر والتشبيه أنه يثبت

(١) الإمة بكسر الهمزة الاستقامة (٢) العر الجرب، وراتع اسم فاعل من رتع بالمكان إذا أقام فيه وأكل وشرب

www.alukah.net

ابتداء، مطمعا متصلا بانزياح، مؤيس، وذلك يتوقف على البيت
كله، ولا يكفي فيه الشطر الأول منه..

أقسام التشبيه ومراتبه
باعتبار طرفيه

سلكه بسبلنا؛ وتقسيم التشبيه أنه نقتصر في ذكر أقسامه على ما تتفاوت فيه مراتبه نقد الفصاحة في الفصاحة، فلا نتعرض في ذكر أقسامه حيا في التقسيم لذاته، ولا لغيره وذلك بالتقسيم بما يعني الناظر به ذكر أقسام كثيرة للتشبيه والاستعارة وغيرهما لا طائل تحته لذاته ولا مزية لها في الفصاحة التي جئت هذا العلم لأجلها، وكأنه الأستاذ على عبد الرازق فيما أعلم أول من نقد هذه الطريقة فقال في أماليه: وقد كان بودنا لو يسر لنا البحث في هذه التقسيمات التي جاء بها في باب التشبيه، وجاء بمثلها في باب الاستعارة، فإنه ذكر أقساما شتى لشيء واحد أمر ميسور للكل ناظر، ولو أننا ذهبنا نستخرج للتشبيه أقساما أخرى لاستخرجوها لكانه في مقدورنا أنه نبلغ بالأقسام مئات بل ألوفا، فيجب أنه يجعل الحكم في ذلك للفائدة، وألا يقبل من التقسيم إلا ما كانه ذا حظ من الفائدة والنفع، وأما ما يجيء من ذلك حيا في التقسيم ورغبة في الإحاطة فلا ينبغي قبوله (١)

ولعل فخر الدين الرازي أول من عني بالإكثار في التقسيم وكتابه نهاية الإيجاز يكاد يخلو من التعليمي إنه كانه به تولعا، وله به شغف، وهذه منه العلوي إشارة خفيفة إلى نقد هذه الطريقة (١)

وينقسم التشبيه باعتبار طرفيه أولا إلى تشبيه محسوس بمحسوس تشبيه المحسوس وتشبيه معقول بمعقول، وتشبيه معقول بمحسوس، وتشبيه بالمحسوس محسوس بمعقول، وتشبيه المحسوس بالمحسوس أقل هذه الأقسام مرتبة في الفصاحة، وكان له وجد به أدباء الجاهلية منه شعراء وغيرهم، لما كانوا عليه من الحياة الفطرية التي لا تؤدي إلى تعمق في التفكير والتعليل، فلما ظهر الإسلام عرفوا به فضل ما يتعلق بالنفس به العقل والعفة والعدل وما إلى ذلك على ما يتعلق بالجسم من الحس والبهاء ونحوهما، كما قال ابن قيس الرقيات في عبد الملك به مروان:

يا لعبد الملك فوق منبره .. على جبينه نور الخلافة

(١) أمالي على عبد الرازق ص ٨٠ (٢) الطراز ص ٧٧ ج ١

فغضب عبد الملك وقال: قد علمت وصعب إنما تصعب ستر بابه من الله به تجلت غرته وجبهه الظلماء فأعطيه المدح بكشف القناع جلاء الظلم، وأعطيني مدح ما لا عرفه، وهو عند الناس فوه حسني الذي هو كالذهب والفضة وهذه أبيات من معلقة امرئ القيس، وصف البرق لا يجاوز فيها تشبيه المحسوس بالمحسوس

أصاح ترى برقا أريك وميضه :: كلمع اليدين في حبي مكلل (١)
يضيء سناه أو مصابيح راهب :: أهان السليط بالذبال المفتل (٢)
على قطن بالشيم أيمن صوبه :: وأيسره على الستار فيذبل (٣)
كأن مكاكي الجواء غدية :: صبحن سلافا من رحيق مفلفل (٦)
كأن السباع فيه غرقى عشية :: بأرجائه القصوى أنابيش عنصل (٧)

تشبيه المعقول بالمحسوس

وتشبيه المعقول بالمحسوس على ما قال ابن الأثير أبلغ الأقسام الأربعة، لتمثيله المعاني الموهومة بالصور المشاهدة، كقوله تعالى (والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئا ووجد الله عنده فوفاه حسابه والله سريع الحساب)

ومنه تشبيه الرأي بالليل في قول الشاعر:

الرأي كالليل مسود جوانبه :: والليل لا ينجلي إلا بإصباح

تشبيه المحسوس بالمعقول

وتشبيه المحسوس بالمعقول لم يكثر إلا في أشعار المحدثين، وذهب

(١) الحبي السحاب المتراكم (٢) السليط الزيت والمعنى أرى برقا في السحاب أو مصابيح راهب أسرف في زيتها (٣) قطن والستار وينبل جبال، والشيم النظر إلى البرق هو الصوب المطر (٤) ثبير جبل، والبجاد الكساء المخطط (٥) الحميم جبل، والقنا، ما يخالط زبد السيل من حجارة ونحوه (٦) المكالى جمع مكاء وهي ضرب من الطير يصيح والغدوات (٧) العنصل البصل البري وأنابيشه أصوله

ابن الأثير إلى أنه ألطف الأقسام الأربعة، لأنه نقل صورة إلى غير صورة، والحاقه المعاني بالأمور المحسوسة، فيصير في الحقيقة كأنه تشبيه محسوس بمحسوس، وفي هذا نهاية المبالغة واللطف (١) ومنه قول الصاحب حين أهدى عطرا إلى القاضي أبي الحسين:

يا أيها القاضي الذي نفسي له :: مع قرب عهد لقائه مشتاقة
أهديت عطرا مثل طيب ثنائه :: فكأنما أهدى له أخلاقه

وقول أبي طالب الرقي:

ولقد ذكرتك والظلام كأنه :: يوم النوى وفؤاده لم يعشه

وذهب الفخر الرازي إلى أن هذا النوع من التشبيه غير جائز لأن العلوم العقلية مستفادة من الحواس ومترتبة إليها، ولذلك قيل من فقد حسا فقد فقد علما، وإذا كان المحسوس أصلا للمعقول فتشبيهه به يكون جعلا للفرع أصلا وللأصل فرعا وهو غير جائز (٢) ولا يخفى أن ما ذهب إليه من هذا فلسفة لا يلتفت إليها، إذ لا مانع من تنزيل بعض الأشياء المعقولة منزلة الأشياء المحسوسة لتقررها في الذهن وتخيلها في العقل بحيث تكون أثبت في النفس وأقوى من المحسوس، فيصح جعلها في هذه الحالة أصلا له يصح تشبيهه به

وأما تشبيه المعقول بالمعقول فيكاد يكون من اختراعات المحدثين أيضا، تشبيه المعقول بالمعقول وهو لا يقل في بلاغته ولطفه عما اخترعوه من النوعين السابقين، ومنه

(١) هذا القول مبني على أن تشبيه المعقول بالمحسوس أبلغ الأقسام الأربعة لأنه من المباينة أيضا، وحينئذ يكون ما هنا مناقضا لما هناك ويكون الأولى جعل هذا من مرتبة واحدة

(٢) نهاية الإيجاز ص ٥٩

رائع ذلك قول أبي نواس:

ألا لا أرى مثلي امرءاً اليوم ظالم .: تنقص به عيني وليفظه وهمي
أتت صور الأشياء بيني وبينه .: فظنّي كلا ظنّه وعلي كلا علم

إذ وقف أمام ذلك الرسم الذي غيّره الدروس حتى ارتاب فيه، وغضّت به عينه ولفظه وهمه، وصار ظنه فيه كلا ظنه، وعلمه كلا علم

ومن أحسنه ما جاء فيه قول المتنبي:

كأنّ الهمّ مشغوفٌ بقلبي .: فساعة هجرها يجد الوصالا

وذهب بعضهم حجّة المحمومي إلى أن هذا النوع في هذا الباب ليس له مواقع المحسوسات، وهو برهان يميل إلى تقديم التشبيه الحسي على التشبيه العقلي، ومن أمثلة تشبيه المحسوس بالمحسوس هو المقدّم في باب التشبيه، وذهب العلوي أيضاً إلى مثل هذا. فذكر أنه المعاني العقلية وإن كانت ثابتة مقطوعاً بها، خلا أنه التمسك بالمحسوسات والتعويل عليها والمشاهدة أولى وأحق، لكونها تفيد زيادة قوة وتزيد إيضاح[1]

التشبيه ← وينقسم التشبيه باعتبار طرفيه ثانياً إلى مفرد ومركب، والتشبيه المفرد المفرد هو تشبيه شيء واحد بمثله، والتشبيه المركب هو تشبيه شيئين أو أكثر بشيئين أو أكثر، أو تشبيه شيء بشيئين أو أكثر، أو تشبيه شيئين أو أكثر بشيء واحد، والأقسام على هذا أربعة: تشبيه مفرد بمفرد، وتشبيه مفرد بمركب، وتشبيه مركب بمفرد، وتشبيه مركب بمركب

والتشبيه المركب أعلى في البلاغة من التشبيه المفرد، حتى بلغ من أمره أن الشعراء كانوا يجارون بعضهم فيه، فحكي عن بشّار أنه قال: مازلت

(1) خزانة الأدب وغاية الأرب ص 277 و 296 عن الطراز ص 181 ط

منذ سمعت قول امرئ القيس في وصف العقاب:

كأنّ قلوب الطير رطباً ويابساً .: لدى وكرها العنّاب والحشف البالي

لا أحذف في الهجوع حتى أقول:

كأنّ مثار النقع فوق رؤوسنا .: وأسيافنا ليلٌ تهاوى كواكبه

وبيت امرئ القيس أجود من جهة أن قلوب الطير رطباً ويابساً أشبه بالعناب والحشف من السيوف بالكواكب، ولكن بيت بشار أجود من جهة أنه من صميم التشبيه المركب، أما بيت امرئ القيس فليس من صميمه وإنما كان ذكره كثير فيه، لأنه التشبيه المركب لكونه بحيث يدخل أحد الشيئين أو الأشياء الآخر في وجه الشبه، ومبنى بيت امرئ القيس وما شاكله ليس على هذه المداخلة، وإنما أراد اجتماعاً ومطابقة فقط، لا تشبيه هيئة برهيئة، ولو أنه اليابسة من القلوب كانت مجموعة ناحية والرطبة كذلك في ناحية أخرى لكان التشبيه بحاله، ولهذا لو فرقت التشبيه فقلت كأنّ الرطب من القلوب عناب وكأنّ اليابس حشف بالٍ لم تر أحد التشبيرين موقوفاً في الفائدة على الآخر

ومعاظمة التشبيه مثل التشبيه في بيت امرئ القيس أحوج بأن يسمى التشبيه المتعدد الطرف، والأصح أن يدخل في التشبيه المركب، وهو إنما يستحق المزية من حيث اختصار اللفظ وحسن الترتيب فيه، لا لأنه للجمع فائدة في التشبيه، ومن أمثلة هذا التشبيه قول البحتري:

بات نديمان حتى الصباح .: أغيد مجدول كأنّ الرياح

الألوكة
www.alukah.net

كأنما يبسم عن لؤلؤ ∴ منضد أو برد أو أقاح (١)

ومنه أيضا قول امرئ القيس:

كأن المدام وصوب الغمام ∴ وريح الخزامى ونشر القطر (٢)

يعل به برد أنيابها ∴ إذا الهرب الطائر المستحره (٣)

ولكنه وهذا التشبيه شوبه بما قصد الأصنعة الاجتماع

وكذلك قول أبي ذؤيب وصف طيارة:

مركت لوسلف الدهر به ∴ كانه إحدى معجزات القدماء

نصفه طير ونصف بشر ∴ بالا إحدى أعاجيب القضاء

مشرح ذو لجة ملجم ∴ كامل العدة مرموق الرواء

كسباط الريح ذو العدة أو ∴ هدهد السيرة وصدد الولاء

أو كحوت يرمي الموج به ∴ سابح به ظهور وخفاء

أما التشبيه المركب فمزيته ترجع إلى ما فيه من التفصيل الذي يكسبه غرابة ولطفا، لأنه الجملة أبدا أسبق إلى النفوس من التفصيل، ولا شك أنه تشبيه المركب بالمركب فهذه المزية أثبت من غيره، ومنه قول البحتري:

خلقة منهم تردد في ∴ وليته عصابة عن عصابة

كالحسام الجراز يمضي على الهام ∴ ويمضي وكل حديه قرابة (٤)

وكذلك قول ابن الرومي:

أدرك نقائك إنهم وقعوا ∴ في نرجس نفحة ابنة العنب

فهم بحال لو بصرت بها ∴ سبحت من عجب ومن عجب

(١) جمع أقحوانة وهو دور له نور أوراقه نوشكل بها أسنة سمي بالأقحوان (٢) الخزامى بنت زهره من أطيب الأزهار، والقطر عود يتجر به (٣) المصوت بالسحرة (٤) الجراز القاطع

ريحانهم ذهب على ذهب ∴ وشرابهم درر على ذهب

وهذا تشبيه صنع ولكنه تشبيه البحتري أصنع، لأنه هذا التشبيه صدر عن صورة مشاهدة، وذاك إنما استنبطه استنباطا من خاطره، وما لوه على هذا الشكل يكون أصنع من الأول، فإنه الرومي نظر إلى النرجس والخمر فشبه، وأما البحتري فإنه مدح قوما بأنه خلوه السماح بافهم نقل عن الأول إلى الآخر، ثم استنبط لذلك تشبيها فأداه فكره إلى السيف وقربه التي تفنى وكل حديه وهو باق لا يفنى بفنائها، ومن أجل هذا كان أصنع وتشبيه

ومن هذا التشبيه أيضا قول العباس بن الأحنف:

لا جزى الله دمع عيني خيرا ∴ وجزى الله كل خير لساني

ثم دمعي فليس يكتم شيئا ∴ ووجدت اللسان ذا الخيانة

كنت مثل الكتاب أخفاه طي ∴ فاستدلوا عليه بالعنوانة

وهذا من اللطيف البديع، ويبلغ من إعجاب أبي نواس به أنه لما دخل مصر مادحا للخصيب جلس يوما وهط من الأدباء وتذاكروا منازه بغداد فأنشد مرتجلا:

ذكر الكرخ نازح الأوطان ∴ فصبا صبوة وملت أوان

ثم أتم ذلك قصيدا مدح به الخصيب، فلما عاد إلى بغداد دخل عليه العباس بن الأحنف وقال أنشدني شيئا من شعرك بمصر، فأنشده:

«ذكر الكرخ نازح الأوطان»

شبكة الألوكة www.alukah.net

فلما استتم الأبيات قال له: لقد ظلمك سنادك، وتخلف عنك سنه جارك، وحرام على أحد يتفوه بقول الشعر بعدك. فقال له أبو نواس: وأنت أيضا يا أبا الفضل تقول هذا؟! ألست القائل:

لا جزى الله ربع عيشي خيرا

وأنشد الأبيات ثم قال: ومن الذي يحسنه أن يقول مثل هذا؟!

وأما تشبيه المفرد بالمفرد فهو أقل هذه الأقسام كلفة، ولهذا كان أقرب إلى تناول، ومنه أبدع ما قيل فيه قول حافظ إبراهيم يخاطب الأسد:

وتحذثم موج الأثير بريدا :: حيه خلتم أنه البردوني كسالى

وجعله الشعر إنما هو في تشبيه البردوني بالكسالى، وهو مأخوذ من قول ابن نباتة السعدي في سيف الدولة:

وما تمر تحل يوما في ندى ويدي :: إلا قضيت للمح البرق بالكسل

ولكنه حافظ عرف كيف يجيد الأخذ، ويضعه هذا الوضع البديع

وأما تشبيه المفرد بالمركب فهو فوق أعلى مراتب التشبيه أيضا، ومنه قوله تعالى (مثل الذين كفروا بربهم أعمالهم كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف لا يقدرون مما كسبوا على شيء ذلك هو الضلال البعيد)

وأما تشبيه المركب بالمفرد فهو على النقيض من ذلك، وإنما كان الأمر فيه على ذلك لأنه لما كان المفرد في تشبيه الأشياء المتعددة في شيء واحد، ومنه قول أبي تمام في وصف الربيع:

يا صاحبي تقصيا نظريكما :: تريا وجوه الأرض كيف يصور
تريا نهارا مشمسا قد شابه :: زهر الربا فكأنما هو مقمر

وقول أبي نواس:

رقة الزجاج وراقت الخمر :: فتشابها فتشاكل الأمر
فكأنما خمر ولا قدح :: وكأنما قدح ولا خمر

أقسام التشبيه ومراتبه

باعتبار وجه الشبه

ينقسم التشبيه باعتبار وجه الشبه إلى عدة أقسام تختلف مراتبه في الحسن باعتبارها، كما اختلفت مراتبه فيه باعتبار طرفيه

فينقسم وجه الشبه أولا إلى قسمين: تحقيقي وتخييلي، والتحقيقي هو ما كان متقررا في الطرفين على وجه التحقيق كقوله تعالى (وله الجواري المنشآت في البحر كالأعلام) فوجه الشبه وهو العظم والضخامة موجود في كل من الطرفين على الحقيقة. والتخييلي ما لا يكون وجوده في المشبه به إلا على ضرب من التأويل، كقول القاضي التنوخي:

وكأن النجوم بين دجاها :: سنن لاح بينها ابتداع

فوجه الشبه هو الهيئة الحاصلة من حصول أشياء مشرقة بيض في جوانب شيء مظلم أسود، وهي غير موجودة في المشبه به إلا على طريق التخييل والتأويل، بأن يخيل إليه أن الليل متلون متلونا

ومنه أيضا قول أبي طالب الرقي:

ولقد ذكرتك والظلام كأنه :: يوم النوى وفؤاده لم يعشه

وقول ابن بابك:

وأصبح كأخلاق الكرام قطمرا :: وقد حل الليل السماك فأبصرا

ولا يخفى أن هذا كله يدخل في باب تشبيه المحسوس بالمعقول، وسببه أن من العلماء من لا يستحسنه، لأن الأصل في التشبيه

الألوكة
www.alukah.net

أنه مثّل المعقول فى ذلك بالمحسوس، كما فعل البحترى فى قوله:

وقد زادها إفراط حسنه جوازها :: خلائق أصفار من المجد خُيَّب
وحُسْنُ دراىِّ الكواكب أنه ترى :: طوالع وداجٍ من الليل غُرَّب

ففى هذا تشبيه هيئة عقلية بهيئة حسية، لأن المقصود تشبيه هيئة وجود ذات المجد بهيئة الخاليات منه بهيئة طلوع دراى الكواكب فى الليل الغيرب

وهو على ما يُكاد يُشبه ما يسمونه هم أنه تشبيه المحسوس بالمعقول ألطف منه

تشبيه المعقول بالمحسوس وما يتبعه من الخلاف فى هذا اختلاف مرتبة التشبيه فى الحسنة باعتبار الوجه (التحقيق والتخييل)

الوجه وينقسم وجه الشبه أيضاً إلى قسمين: مفرد ومركب، ولا يلزم من

المفرد والمركب

تركيب وجه الشبه تركيب طرفيه، فقد يكون الوجه مركباً والطرفان مفرديه، كالهيئة الحاصلة من الحمرة والشكل الكرى والمقدار المخصوص فى قول ذى الرُّمَّة:

وسقط كعين الدِّيك عاورتُ صاحبى :: أباها وهيّأنا لها وكرًا (١)

وقد يكون الوجه مركباً والطرفان مركبين كما فى قول بشّار:

كأنّ مثار النقع فوق رؤوسنا :: وأسيافنا ليل تهاوى كواكبه

ولا شك أن التشبيه فى الوجه المركب ألطف منه فى الوجه المفرد، وقد يجئ المركب فى الهيئات التى تقع عليها الحركات فيكون ذلك منه بديع هذا النوع، وهو يأتى على وجهين: أحدهما أن يقوم

(١) السقط النار التى تسقط من الزند وكانوا يسمونها عاورتهم واستعارها أى أتوا بعود فيه نار فوضعوا أحدهما أسفل وسموه الأنثى ونفضوا فيه ويجوز فيه الأعلى وسموه أبا وسناد بوا ذلك إلى استعارها

بالحركة غيرها من أوصاف الجسم كالشكل واللون، ومنه قول المُهلَّبى الوزير:

والشمس بين مشرق قد بدت :: مُشرقة ليس لها حاجب
كأنّ بُوتقة أُخميت :: يجول فيها ذهبٌ ذائب

فإنه البوتقة إذا أُحميت وذاب فيها الذهب متشكّل بشكلها وإذا كان ذا، وأخذ يتحرك بجملته تلك الحركة العجيبة كان فى توهّمه بأنه ينبسط حتى يفيض من جوانبها لما فى طبعه من النعومة، ثم يبدو له فيرجع إلى الانقباض لما به من شدة الاتصال والتلاحم، ولذلك لا يقع فيه غليان على الصفة التى تكون فى الماء ونحوه مما تخلّله الهواء، وهذه الحالة تمثل الهيئة الحاصلة فى الشمس إذا أحدّ الشخص النظر إليها لتشبيه جرمها عند استدارتها.

والوجه الثانى أن يجرّد هيئة الحركة عن كل وصف غيرها للجسم، فهناك أيضاً لا بدّ من اختلاط حركات كثيرة للجسم إلى جهات مختلفة له لتكون مركبة، كما فى قول ابن المعتز:

وكأنّ البرق مصحف قارئ :: فاتحاً طوراً وطوراً منتقاها (١)

لأنه يتحرك فى الحالتين إلى جهتين فى كل حالة إلى جهة، ومن لطيف ذلك قول الأخيطل به الأهوازىّ:

خُفّت بسرٍ وكالقيادة ولُفّت :: خُضْر الحرير على قوام معتدل
فكأنها والريح جاء يميلها :: تبغى التعانق من خِلال الكُلّ

(١) قارئ تخفيف قارئ

فائدة فيه تفصيلا دقيقا، وذلك أنه راعى في المركبة: حركة الرهيو للذنب والعناقه، وحركة الرجوع إلى أصل الافتراعه، وأدى ما يكونه في الثاني من سرعة زائدة تأدية للطيفة، لأنه حركة السكرة المعتدلة في حال رجوعها إلى اعتدالها أسرع لامحالة منه حركة في حال خروجها عن اعتدالها، وكذلك حركة من يدرك النجل فيريد أسرع من حركة من يهم بالدنو، لأنه إزعاج الخوف أقوى في بدايته إزعاج الرجاء

وقد يقع التركيب في هيئة السكونه كما في قول الشاعر في صفة مصلوب:

كأنه عاشق قد مد صفحته ... يوم الوداع إلى توديع مرتحل

أو قائم من نعاس فيه فوته ... مواصل لتمطيه من الكسل

وقول دعبل به على:

لم أر صفا مثل صف الرط ... تسعة منهم صلبوا في خط (1)

من كل عال جذعه بالشط ... كأنه في جذعه المشيط (2)

أخو نعاس جد في التمطي ... قد خامر النوم ولم يغط

والفرق بينه هذا والأول أنه الأول صريح في الاستمرار على الهيئة دونه بلوغ الصفة غاية ما يمكنه أن يكونه عليها، والثاني بالعكس، وشبيه بالأول في الاستقصاء، قول ابن الرومي في المصلوب أيضا:

كأنه في الجو حبل يوعه ... إذا ما انقضى حبل أتيح له حبل

فقوله - إذا ما انقضى حبل أتيح له حبل - كقول الشاعر الأول مواصل

(1) الرط طائفة من الرجال صلب منهم هذا العدد في خط مؤلف من أشجار عالية الجذوع (2) الضمير في كأنه للواحد من المصلوبين

فتمطيه من الكسل - في التنبيه على استدامة الشبه

وقد يكون وجه الشبه متعددا لا مركبا فلا يبلغ في اللطف منزلة المركب، ولكنه يلي في اللطف كما سبقه في التشبيه المتعدد الطرف، ومنه المتعدد المركب قول أبي بكر الخالدي:

يا شبيه البدر حسنا ... وضياء ونوالا

وشبيه الغصن لينا ... وقواما واعتدالا

أنت مثل الورد لونا ... ونسيما وبللا

زرتنا حتى إذا ما ... سرنا بالقرب زالا

والتشبيه المركب الوجه يسمى التمثيل، وهو ما وجهه منتزع من أشياء متعددة، واختلف القوم في أمره خلدة فمنهم من جعل التمثيل ضربا من الاستعارة، فالزمخشري لا يفرقه بينه التشبيه والتمثيل، والسكاكي يخصه بما لا يسمى التمثيل إلا ما كان وجهه غير حقيقي، وعبد القاهر لا يسمى التمثيل إلا ما كان وجهه غير حسي، فيشمل العقلي والوهمي، وعليه التوقيفي في قوله تعالى (مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارا بئس مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله والله لا يهدي القوم الظالمين)

وإذا وقع التمثيل في صدر القول بعث المعنى إلى النفس بوضوح وجلاء مؤيدا بالبرهان، وإذا أتى بعد استيفاء المعاني كان إيغالا على إسكارها كقول المتنبي:

وما أنا منهم بالعيش فيهم ... ولكن معدن الذهب الرغام

شبكة الألوكة www.alukah.net

وإما تأييد اللمعنى الثابت كقوله:

ونار لو نفخت بها أضاءت ∴ ولكنك أنت تنفخ في رماد

وهو من طلعة العالية يرفع قدر المعاني ويكسبها منقبة، ويجعل لها في القلوب هزة وارتياحا

ولحكمة في القرآن الكريم وقوع التمثيل في صدر الكلام كقوله تعالى (مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم) وقوله تعالى (مثلهم كمثل الذي استوقد نارا فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات لا يبصرون)

التشبيه وينقسم التشبيه باعتبار الوجه تالثا إلى قسمين: مفصل ومجمل

للفصل والمجمل

والتشبيه المفصل ما ذكر فيه وجه الشبه مثل قول ابن الرومي:

يا شبيه البدر في الحسن ∴ به وفي بعد المنال

جد فقد تنفر الصبح ∴ رة بالماء الزلال

فالتشبيه المجمل ما لم يذكر فيه وجه الشبه كقول حافظ إبراهيم في قصيدة له على لسان حال اللغة العربية في عصرنا:

أيهجرني قومي عفا الله عنهم ∴ إلى لغة لم تتصل برواة

سرت لوثة الإفرنج فيها كما سرى ∴ لعاب الأفاعي في مسيل فرات

فجاءت كثوب ضم سبعين رقعة ∴ مشكلة الألوان مختلفات

وقد يحذف وجه الشبه ولكنه يكون ظاهرا يفهمه كل الناس حتى العامة كقولنا زيد أسد، إذ لا يخفى على أحد أن المراد به التشبيه في الشجاعة دون غيرها، وقد يكون خفيا لا يدركه إلا من له ذهن يرتفع عن طبقة العامة، كقول كعب بن معدان الأشقري للحجاج وقد سأله عمه بني المهلب أيهم أنجد: هم كالحلقة المفرغة لا يدري أين طرفاها. فالمراد تشبيههم بالحلقة المفرغة في التناسب وعدم التفاوت بحيث يمتنع تعيين بعضهم فاضلا وبعضهم أفضل منه، كما أن الحلقة المفرغة لتناسب أجزائها يمتنع تعيين بعض أطرافها وبعض أوساطها

ولاشك أن الوجه الخفي أعلى طبقة في الفصاحة من الوجه الظاهر، ولكنه يجب أن يعتبر في هذا ما يقتضيه المقام في خطاب الذكي وخطاب الغبي، لأن اعتبار ذلك لا بد منه في الموازنة بين الوجهين

وقد يذكر وصف في المشبه به أو في الطرفين معا ينبئ عن وجه الشبه فيكون حال التشبيه في ذلك بين المفصل والمجمل، كقول خليل مطران ومصطفى كامل:

يا سيد ما عدا لك بنظرة ∴ حققت آمال الهدى متطرفا

كهوان في الأوطان فيلك الهوى ∴ لا مفقري فيه ولا متكلفا

يجري على قدر المطالب ناميا ∴ ويجل في مجراه عن أن يصدفا

وكقول أبي تمام في الحسين بن رجاء:

تصبح العيس بي والليل عندي ∴ كنير ذكر الرضا في ساعة الغضب

صدفت عنه ولم تصدف مواهبه ∴ عني وعاودني ظني فلم يخب

الألوكة
www.alukah.net

كالغيث إن جئته وافاك ريقه .: وإن ترحلت عنه لج في الطلب

وصف المشبه بأنه عطاياه فائضة عليه أعرضه أو لم يعرضه، ووصف المشبه به بأنه يصيبك جئته أو ترحلت عنه، والوصفان دالان على وجه الشبه وهو الإفاضة في هذه الحالين

التشبيه القريب والبعيد

وينقسم التشبيه باعتبار الوجه رابعا إلى قسمين: قريب مبتذل وبعيد غريب، والقريب المبتذل هو ما ينتقل فيه من المشبه إلى المشبه به من غير تدقيق نظر لظهور وجهه في بادئ الرأي، كقول امرئ القيس:

فإذا ركبت فإنني .: يد الفوارس في الجلاد

وإذا نطقت فإنني .: قس بهم ساعدة الإيادي

والبعيد الغريب هو ما لا ينتقل فيه من المشبه إلى المشبه به إلا بعد تدقيق نظر لخفاء وجهه في بادئ الرأي، وسبب خفائه يرجع إلى أمرين: أولهما أن يكون المشبه به معاندا حضوره في الذهن لبعده عن الوقوع في الخارج أو معاندا حضوره في الذهن عند حضور المشبه لخفاء المناسبة بينهما، ومثال معاند حضوره لبعده وقوعه قول امرئ القيس:

أيقتلني والمشرفي مضاجعي .: ومسنونة زرق كأنياب أغوال

ومثال معاند حضوره عند حضور المشبه لخفاء المناسبة قول ابن الرومي:

ولازوردية تزهو بزرقتها .: بين الرياض على حمر اليواقيت

كأنها فوقه قامات ضفدعة .: أوائل النار في أطراف كبريت

وقد يقع التشبيه في ذلك بين الضدين والمختلفين، كقولك: العسل في حلاوته كالصبر في مرارته أو كالخل في حموضته، وقد يقع هذا على سبيل التلميح والطرافة أو التهكم والاستهزاء، فيقال للجبان ما أشبهه بالأسد ويقال

للبخيل هو حاتم، ومما جاء على سبيل التلميح في ذلك قول أبي نواس:

أصبح الحسن منك بالأحسن الأب .: ة بحلى سماجة ابنة حسن

وثانيها أن يكون وجه الشبه مفصلا لا جمليا، لأن الجملة أسبق أبدا إلى النفس من التفصيل، وكلما كان التفصيل أكثر كان التشبيه أغرب، وقد يقل التفصيل في وجه الشبه ويغلب حضور المشبه به في الذهن لما سبق فلا يكون ذلك في شيء من غرابة التشبيه

والمراد بالتفصيل أن ينظر في أكثر من وصف واحد لشيء واحد أو أكثر، وذلك يقع على وجوه كثيرة، والأغلب الأعرف منها وجهان: أحدهما أن يأخذ بعضا ويدع بعضا، كما فعل امرؤ القيس في قوله:

حملت ردينيا كأن سنانه .: سنا لهب لم يتصل بدخان

ففصل السناء عن الدخان وأثبته مفردا، والثاني أن يعتبر الجميع كما فعل أحيحة ابن الجلاح أو قيس بن الأسلت في قوله:

وتعد لاح في الصبح الثريا لمن رآها .: كعنقود ملاحية حين نورا (١)

فإنه اعتبر من الأنجم الشكل والمقدار واللون واجتماعها على المسافة المخصوصة في القرب، ثم اعتبر مثل ذلك في العنقود المنور من الملاحية

والتشبيه البعيد أعلى منزلة من التشبيه القريب، لأن البعد لغرابته يفضل بكونه كالمستحيل إذ ليل بعد الطلب له والاستيناس به، فبكونه أحلى ووقع في النفس ألطف وأعجب، وقد يكثر فيه الاستقصاء والتفصيل فيبلغ الغاية في اللطف والغرابة، كما في قوله تعالى: ﴿أعمالهم كسراب

(١) الملاحية عنب أبيض في حبه طول

الدنيا الماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض مما يأكل الناس والأنعام حتى إذا أخذت الأرض زخرفها وازينت وظن أهلها أنهم قادرون عليها أتاها أمرنا ليلا أو نهارا فجعلناها حصيدا كأن لم تغن بالأمس كذلك نفصل الآيات لقوم يتفكرون)

ومما بلغ الاستقصاء في التفصيل وعجيبه قول ابن المعتز:

كأنا وضوء الصبح يستعجل الدجى :: نظير غرابا ذا قوادم جونه (1)

شبه ظلام الليل من يظهر فيه ضوء الصبح باشخاص الغربان، ثم شرط أن يكون قوادم بيضا، لأن تلك الفرقة من الظلمة تقع في حواشيها من حيث يلي معظم الصبح وعموده لمع نور يتخيل منها للرائي كأشكال قوادم بيضه، وتمام الدقيقة في هذا التشبيه أنه جعل ضوء الصبح لقوة ظهوره ورفعه لظلام الليل كأنه يحفز الدجى ويستعجله والارض منها بأنه تتمهل في حركته، ثم لما راعى ذلك في التشبيه ابتداء راعاه آخرا حيث قال - نظير غرابا - ولم يقل يطير ونحوه، لأن الطائر إذا كان واقعا في مكانه فازعج وأطير منه، أو كانه قد حبس في يد أو قفص فارسل منها - فكانه ذلك لاستحالة أسرع للطيران، وادعى له أنه يستمر على الطيران حتى يصير الى حيث لا يراه العيون، بخلاف ما إذا طار عن اختيار، فإنه حينئذ يجوز ألا يسرع في طيرانه، وأنه يصير الى مكانه قريب من مكانه الأول

(1) جونه بضم الجيم جمع جونة بفتحها يطلقه على الأبيض وعلى الأسود والمراد هنا الأبيض

وهكذا يعلو التشبيه في ذلك حتى يصل الى هذه الغاية، وتختلف موازنات مراتبه فيه حتى لا تقف عند حد، ويعلو بعضها في الموازنة على الغريب بعضه، فقول امرئ القيس في وصف السنا:

حملت رديني كأن سنانه :: سنا لهب لم يصل بذخائه

أعلى منزلة من قول عنترة العبسي:

يتابع لا يبقي غيره :: بأبيض كالقبس الملتهب (1)

فالثاني من التفصيل الذي تضمنه الأول، وهو قصر التشبيه على مجرد السنا وتصويره مقطوعا عن الذخائر، ومعلوم أن هذا لا يقع في الخاطر أول وهلة، بل لا بد فيه من أن يثبت وينظر في حال كل من الفرع والأصل، حتى يقع في النفس أن في الأصل شيئا يقدح في حقيقة التشبيه، وهو الذخائر الذي يعلو أسنة الشعلة

وكذلك قول أبي طالب الرقي:

وكأنما أجرام النجوم لوامعا :: درر نثرن على بساط أزرق

أفضل من قول ذي الرمة:

كخلايا ذي برجم صفراء ذي نعج :: كأنما فضة قد مسها ذهب (2)

لأنه الأول ما يفيد وجوده دون الثاني، فإنه الناس أبدا يرون في الصياغات فضة قد موهت بذهب، ولا يكاد يقع أنه يوجد درر قد نثرن على بساط أزرق

(1) الضمير في يتابع لورد بن حابس وغيره لفضله الأسدي وكأنه لورد آثر عنده (2) البرجم أحد أعواد بياض العين بالسواد الله بحيث لا يغيب عنه سوادها كله، والنعج البياض الخالص

شبكة
www.alukah.net

وكذلك قول بشار:

كأنّ مُثارَ النّقع فوق رؤوسنا ... وأسيافنا ليلٌ تهاوى كواكبُهْ

أفضل منه قول المتنبي:

يزور الأعادي في سماء عجاجةٍ ... أسنّتُهُ في جانبيها الكواكبُ

ومنه قول عمرو بن كلثوم:

تبني سنابكُ خيلِنا من فوقهم ... سَقفًا كواكبُه البيضُ المباتِرُ

لأنه كلّ واحد منهما رأى التفصيل في التشبيه فإنه اقتصر على أنه أراد لمعان الأسنّة والسيوف في أثناء العجاجة، بخلاف بشار فإنه لم يقتصر على ذلك، بل عبر عنه هيئة السيوف وقد سُلّت من أغمادها وهي تعلو وترسب وتجيء وتذهب، وهذه الزيادة زادت التفصيل تفصيلا لأن رؤية النقع في النفس إنما بالنظر إلى أكثر من جهة واحدة، وذلك أنه ليس عند احتدام الحرب واختلاف الأيدي برماح الضرب اضطرابا شديدا وحركات سريعة، ثم لتلك الحركات جهات مختلفة تنقسم بها الاعوجاج والاستقامة والارتفاع والانخفاض، ثم هي باختلاف هذه الأمور تتلاقى وتصدم بعضها بعضا، ثم أشكال الأسنّة مختلفة، فبنى على هذه الدقائق كلمة واحدة وهي قوله (تهاوى) لأنه الكواكب إذا تهاوت اختلفت جهات حركتها، ثم كأنه لرأى الراوي تواقع وتداخل، ثم استطالت أشكالها

حسن التشبيه القريب والتشبيه القريب تختلف مراتبه في الحسن أيضا، وقد يطلب في مقاماته مقامات تقتضيه فلا يحسن فيها التشبيه البعيد، وربما الطف وأحسن

قول علي بن جبلة:

إذا ما تردّى الأسَةَ الحربِ أرعدتْ ... حشا الأرضِ واستنّى الرياحُ الزعازعُ

وأسفرت النّقع حتى كأنّه ... صباحٌ مسنّى وظلمةُ الليلِ ساطعُ

وقول أبي تمام:

خلطَ الشجاعةَ بالحياءِ فأصبحا ... كالحسنِ شِيبَ لغرِّهِ بدلالِ

وذكر العلوي أنه التشبيهات الواردة في القرآن الكريم والسنة النبوية كلها قريبة، وما ذاك إلا لأنه أدخل في التحقيق وأقرب إلى التيقّن مما لا يدفع[1] ولكنه هذا غير صحيح في إطلاقه لما في القرآن والسنة النبوية من التشبيهات الغريبة الكثيرة

وقد يتصرف في التشبيه القريب بما يخرجه من الابتذال إلى الغرابة انقلاب أما البعيد فلا ينقلب قريبا وإنه كثر استعماله وتداوله الناس، لأنه بعيد القريب المعتبر في غرابته وقت استعماله ولا يؤثر فيه متى بعده، والتصرف في القريب بما يجعله غريبا كقوله بأنه يشترط في تمام التشبيه وجود وصف لم يكن أو انتفاء وصف قد كان ولو ادّعاء، وما إلى هذا من التصرفات التي لا تنحصر، ومنها ما في قول المتنبي:

لم تلحه هذه الوجنة شمس نهارنا ... إلا بوجه ليس فيه حياءُ

وقول أبي تمام:

وردّت علينا الشمسُ والليلُ راغمٌ ... بشمس لها من جانب الخدر تطلعُ

---

(١) الطراز ص ٢٨٠ ج ١

فوالله ما أدري أأحلام نائم :: ألمّت بنا أم كان ذا الركب يوشع

فإنه تشبيه وجوه الجماعة بالشمس مبتذل، لكنه كمل واحدة منه حديث الجماد في الأول والتشكيك مع ذكر يوشع عليه السلام في الثاني أخرجه من الابتذال إلى الغرابة

ومنها ما في قول الوطواط :

عزماته مثل النجوم ثواقبا :: لو لم يكن للثاقبات أفول

فقد اشترط لتمام المماثلة بينه النجوم وبينه عزماته عدم مغيبهما، ومثل هذا يسمّى التشبيه المشروط، كقول البديع الهمذاني

يكاد يحكيك صوب الغيث منسكبا :: لولا طلاقة المحيّا منك والدّهما

والبدر لو لم يغب والشمس لو رقدت :: والأسد لو لم تصد والبحر لو عذبا

ومنها ما في قول البحتري :

في طلعة البدر شيء من محاسنها :: وللقضيب نصيب منه تشبيها

وقول ابن بابك :

ألا يا راحة الكرب الذي أشرفه الحمى :: نسيمك مسروق ووصفك ينتحل

حكيت أبا سعد فشكرك نشره :: ولكنه صدق الهوى وك الملل

والغرابة في التشبيه بينة ناشئة من عكس التشبيه فيها

وقد يخرج المبتذل إلى الغرابة بالجمع بينه عدة تشبيهات، كقول البحتري:

كما تبسم ثغر لؤلؤ :: منضد أو برد أو أقاح

وقول امرئ القيس:

له أيطلا ظبي وساقا نعامة :: وإرخاء سرحان وتقريب تتفل (1)

(1) الأيطلان الخاصرتان، والسرحان الذئب وإرخاؤه جريه وسهولته، والتتفل ولد الثعلب وتقريبه عدوه

أقسام التشبيه ومراتبه

باعتبار أداته

أداة التشبيه تارة تكون اسما، وتارة تكون فعلا، وتارة تكون حرفا، أدوات الاسم كلفظ مثل وشبه ونحوهما، والفعل مثل حسبت وخلت ونحوهما، وما إلى ذلك مما يدل على المضاهاة والمقاربة والموازنة والمعادلة والمماثلة وغيرها، نحو قول الشاعر:

وصنع شقائق النعمان فيكي :: يوافينا نظمته على اقترابه

وقول الآخر:

إذا امتحن الدنيا لبيب تكشفت :: له عن عدو في ثياب صديق

والحرف هو الكاف وكأنّ، وإنما تكون أداة التشبيه إذا خرجها جامد، كقول امرئ القيس:

كأن قلوب الطير رطبا ويابسا :: لدى وكرها العنّاب والحشف البالي

فإذا كانت مشتقا كانت لإفادة الظنّ بقوته لا سمها، كقول شوقي ذو الرمّاء يصطفي كامل:

ولقد نظرتك والرّدى بك محدق :: والدار ملء معالم الجمّامة

فرهبتني لي حيث كأنك عائذي :: وأنا الذي هدّ السعال كياني

ولكنه هذا الأصح عندي لأنه يؤخذ على إطلاقه، لأنا رأيهم قد ذكروا فيما سيأتي مثلا خبر كأنه فيه مما للشك، كقول ابن المعتز:

كأنا وضوء الصبح يستعجل الدجى :: نطير غرابا ذا قوادم جونه

وقيل إنه الفعل مثل علم وخال ونحوهما من الأفعال التي تدل على اليقين أو الظن إنما تدل على كمال المشابهة أو بعدها ولا تدل على أصل الشبه، لأنه يجب تقدير الأداة معها، كما قال أبو نواس في تشبيه الخمر:

فإذا ما اعترضته العين :: من حيث استدار

خلته وجنبات الـ :: كأس واوات صفارا

أي كواوات صغيرة، وأفعال التصيير هي التي تدل على كمال المشابهة، وأفعال الظن هي التي تدل على بعدها، أما الأفعال التي تدل بأصل وضعها على التشبيه مثل فعل حكى ومائل ونحوهما فلا تفيد الأداة معها والأصل في الكاف ونحوها من كل ما يدخل على المفرد أنه يليه لفظ المشبه به، والأصل فيما يدخل على الجملة وهو كأنه أنه يليه المشبه، ومثلها في ذلك ما يكون جملة بنفسه كالأفعال السابقة، حتى إنك إذا قلت - زيد يماثل عمرا - فالمشبه فيه الضمير المستتر في الفعل (لأنه الظاهر قبله) وفي هذا نظر، لأنه قد فيه لا راجع إليه

فقد الطرفين وكل منه لفظ المشبه والمشبه به وجميع ذلك متعينه إلا إذا ذكر المشبه وغير صيغة التشابه بلفظ يدل على المشابهة من الجانبين، كقول أبي إسحاق الصابي:

تشابه دمعي إذ جرى ومدامتي :: فمن مثل ماء الكأس عيني تسكب

فوالله ما أدري أبالخمر أسبلت :: جفوني أم من عبرتي كنت أشرب

وقول الصاحب بن عباد:

رقة الزجاج وراقت الخمر :: فتشابها فتشاكل الأمر

فكأنما خمر ولا قدح :: وكأنما قدح ولا خمر

فقال من الطرفين وذلك يصح أن يكون هو المشبه، ويصح أن يكون هو المشبه به، ولا يتعينه أحدهما للواحد منهما للزم ترجيح أحد المتساويين على الآخر

وإني أرى أن المساواة ومثل هذا يجب أن تكون ادعائية، ولا يصح

أن تكون مساواة حقيقية كالمساواة ومثل - تشابه التوأمان - ونحو ذلك، لتأسيس منه بناء قاعدة التشبيه على نقصان المشبه وزيادته، ولأنه إذا كان الطرفان حاصلين على جهة الاستواء فلا مبالغة في ذلك ولا تشبيه كما قال العلوي في الطراز[1] وإذا كانت المساواة ادعائية فالمدعى مساواته هو المشبه، والمدعى مساواة المشبه له هو المشبه به، وإذا يكون الطرفان متعينين هنا أيضا، والمشبه وقول الصابي هو الدمع والمشبه به الخمر، ووجه الشبه هو الحمرة أو الصفاء، ولهذا قال بعده - فمن مثل ماء الكأس عيني تسكب - والمشبه وقول الصاحب الخمر والمشبه به القدح، لأنه على كل حال أصفى منزلة، والمراد ادعاء مساواته له في الصفاء، وقد يكون مراد الصابي تشبيه خمره بدموعه في صفائها، ويكون قوله - فمن مثل ماء الكأس عيني تسكب - من باب قلب التشبيه، ولعل هذا هو الظاهر لأن الخمر على كل حال أقل من الدمع في الصفاء، والظاهر أنه هو وجه الشبه لا الحمرة

وينقسم التشبيه باعتبار الأداة أولا إلى قسمين: مرسل ومؤكد، التشبيه المرسل المؤكد والمرسل هو ما ذكرت فيه الأداة، كما في قوله تعالى (سابقوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها كعرض السماء والأرض أعدت للذين آمنوا بالله ورسله ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم) وقول أبي الفتائم الحصي:

خود كأن بنا زرا :: فخضرة النفس المزر

(١) الطراز ص ٥٠ ج ١

سمك من البلوري .: شبك كلوري من برجد

والمؤكد هو ما حذفت أداته، كما في قوله تعالى (وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب صنع الله الذي أتقن كل شيء إنه خبير بما تفعلون) أي كمر السحاب، وقول حافظ إبراهيم:

الأم مدرسة إذا أعددتها .: أعددت شعبا طيب الأعراق

وقول ابن خفاجة:

والريح تعبث بالغصون وقد جرى .: ذهب الأصيل على لجين الماء

أضاف المشبه به فيه إلى المشبه، وتقدير الكلام على ماء كاللجين، وشبيه بهذا قول ابن حمديس الصقلي:

كأنما أدهم الإظلام حين نجا .: من أشهب الصبح ألقى نعل حافره

فإنه فيه تشبيه الإظلام بالفرس الأدهم، وتشبيه الصبح بالفرس الأشهب، وهما من التشبيه المؤكد على نحو لجين الماء، وفيه أيضا تشبيه الفرق آخر الشهر بالنعل الذي يكون في رجل الفرس لأنه على صورته، ولكنه من التشبيه المرسل لذكر أداته وهي كأنما

والتشبيه المؤكد أعلى منزلة في الفصاحة من التشبيه المرسل، ويمتاز عليه من جهتين: أولاهما ما فيه من الإيجاز بحذف أداته، والثانية أنه يجعل المشبه مشبها به من غير واسطة أداة فيكون هو إياه، وفي هذا من المبالغة ما لا يوجد في التشبيه المرسل

التشبيه البليغ وتوجد في ذلك مرتبة أعلى من مرتبة التشبيه المؤكد وهي مرتبة

التشبيه البليغ، وهو ما ذكر فيه الطرفان وحذف منه الوجه والأداة، فيكون قسما من التشبيه المؤكد لأنه أخص منه، وإنما كان التشبيه البليغ أعلى هذه الأقسام لأنه يجمع المزايا التي في المؤكد ما فيه من الإطلاق بسبب حذف وجه الشبه، فلا يفيد تقييد التشبيه بجهة واحدة كما يفيده ذكر الوجه، ومنه قول شوقي:

دقات قلب المرء قائلة له .: إن الحياة دقائق وثوان

فارفع لنفسك بعد موتك ذكرها .: فالذكر للإنسان عمر ثان

وما يدخل في التشبيه المؤكد أيضا التشبيه الضمني، وهو ما ليس بصريح بل يفهم طرفاه من المعنى، كما في قول الشاعر: التشبيه الضمني

علام تستقر الماء في زبده .: وكيف تمسك ماء قنة الجبل

فإنه يتضمن تشبيه الممدوح بقنة الجبل، ووجه الشبه عدم استقرار شيء فيهما، والأداة محذوفة كما في سائر التشبيه المؤكد

وقول المتنبي:

فإنه نقوة الأنام وأنت منهم .: فإنه المسك بعض دم الغزال

وقول الطغرائي:

مجدي أخيرا ومجدي أولا شرع .: والشمس رأد الضحى كالشمس في الطفل

شبه استواء مجده قديما وحديثا باستواء الشمس في هذين الحالين، ولكنه جاء تضمينا لا تصريحا

الألوكة www.alukah.net

مواضع حذف الأدوات التشبيه مواضع بحسنه فيها حذف فرط، ومواضع بحسنه فيها ذكرها، الأداة مقدرا

فإذا كانت المشبه به معرفة كقولك: زيد الأسد، فإنه يحسنه أن يقال: زيد كالأسد،

وإذا كانت المشبه به نكرة كقولك: زيد أسد، فإنه لا يحسنه أن يقال فيه زيد كأسد، ويحسنه أن يقال: كأن زيدا الأسد، وجدته أسدا، قال العلوي: والفرق بينهما أن اللام في الأسد للجنس، فكأنك قلت زيد يشبه هذا الحقيقة المخصوصة من الحيوان، أما النكرة فإنها دالة على واحد من جنس هذه الحقيقة، فإذا قلت زيد يشبه واحدا من هذه الحقيقة فلا مبالغة فيه، فافهم قلت: وفي رأيي أنه هنا فلسفة لا يحتملها ذوق هذه اللغة، وأنه لا فرق بينهما في المعرفة والنكرة في ذلك متكافئة

وإذا كانت المشبه به نكرة موصوفة بما لا يلائم حقيقة المشبه به ولا يكون معروفا فيه لم يحسنه فيه دخول أداة التشبيه، كما في قول العبدي:

شمس العداوة حتى يستقاد لها ... جد وبغضاء يرجى عندها غير

فلا يحسنه دخول الأداة في هذا الإبقاء صورته، كأنه يقال: هو كالشمس المتناهية في العداوة، إلا أنه لا يقبح ولا يحسن إلا أنه الصدور كسوفه، ومن ذلك قول المتنبي:

أسد ما لهم الأسد الهزبر خضابه ... موت فريض الموت منه يرعد

فإنه لا يحسنه أن يقال في ذلك هو كالأسد ولا الموت، لما في ذلك من المناقضة لأنه تشبيه بجنس السبع المعروف دليل أنه دونه أو مثله، وجعل دم الهزبر الذي هو أعلى الجنس خضاب يده دليل أنه فوقه، وكذلك لا يصح أن يشبه بالموت المعروف ثم يجعل الموت يخاف منه، وإنما وقع حذف الأداة هذا المناقضة

وإذا كانت الاسم الذي افتتح به المثل في التشبيه غير محتمل لضرب من التشبيه إذا أورد وقطع عنه الكلام بعده وجب ذكر الأداة فيه، كما في قوله تعالى: (إنما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به

---

(1) الطراز ج 1 ص 90

نبات الأرض مما يأكل الناس والأنعام حتى إذا أخذت الأرض زخرفها وازينت وظن أهلها أنهم قادرون عليها أتاها أمرنا ليلا أو نهارا فجعلناها حصيدا كأن لم تغن بالأمس كذلك نفصل الآيات لقوم يتفكرون) فلو قلت: إنما الحياة الدنيا ماء أنزلناه من السماء، لم يحسن للكلام، ووجه عمرانه

قد حذف لفظ مثل، نحو إنما الحياة الدنيا مثل ماء ينزل من السماء، فيكون كيت وكيت، إذ لا يتصور بعينه الحياة الدنيا والماء بمفرده شبه بعض مقصوده وكذلك إذا كانت في وجه الشبه شيء لا يلائم المقصود من التشبيه، كما في قول النابغة:

فإنك كالليل الذي هو مدرك ... وإن خلت أن المنتأى عنك واسع

فالصفة التي جعل الممدوح منها أجلها كالليل هي الظلمة، وأنه قصد شدة سخطه وراعى حال المسخوط عليه وتوهم أنه الدنيا تظلم في عينه حسب الحال في المسخوط عليه الشديد الوحشة، وهذا التقدير يحمل الكلام على ظاهره وحرف التشبيه مذكور داخل على الليل، فإذا أردت المبالغة لم يجز لك ذلك لأنه مثل هذه الصفة لا يصح أن يواجه بها الممدوح ولا يصح أن يستعار الاسم الدال على الله إلا بعد أن تتدارك وتقربه إليها بأضداد هذه الأوصاف المحمودة، كما في قول المتنبي:

حتى وجوده أعداؤه أقر ... به منه ضيفه وعداه الطوائح

بدأ فجعله حسنا على الإطلاق، ثم أراد أن يجعله فيما وجوده أعداؤه فلم يقنعه حتى جعله أقرب إلى ضيفه، وهو كالغيث حيث وصل به هذه الزيادة مدح، وهو كالغيث سواء لزيادة أضافه

وجملة القول في ذلك أن وجه الشبه إذا كانت وصفا معروفا في الشيء قد جرى العرف بأنه يشبه به أجله به، وتعرف كونه أصلا فيه بقال عليه، كالنور والشمس، والطيب والمسك، والحلاوة والعسل، والمرارة والصاب، وما شاكل ذلك من الأوصاف - فإنه المبالغة والتشبيه

الألوكة
www.alukah.net

بحذف الأداة لكونه أوضح، ولكونه لسانه الحال بل أفصح. فإذا لم يكن وجه الشبه وصفا معنويا فإن الشبه الذي يقاس عليه إلى هذا الحد فإنه يذكر الأداة فيه لكونه أحسن منه حذفا، وقد اجتمع التشبيهان في قول شوقي من قصيدته في السفور والحجاب:

يا طير والأمثال تضـ :: ـرب للبيب الأمثل (1)
دنيا كما عاداتها :: ألا تكون لأعزل
أو للغبي وإنه تعلـ :: ـل بالزمانه المقبل
أسعفت بالحكمة والـ :: ـإسلام يوم الخندل
رضي الصحابة يومذ :: ـاك بالكتاب المنزل
وهم المصابيح الرّوا :: ـة عن النبي المرسل
قالوا الكتاب وقام كلـ :: ـل مفسّر ومؤوّل
حتى إذا وسعت معا :: ـنه وية وضاقت بها على
رجعوا الظلام كما الطبا :: ـع في النفوس مؤصّل
نزلوا على حكم القوي :: ـ وعند رأي الأجيل

والتشبيه الأول في قوله - وهم المصابيح - والثاني في قوله: رجعوا الظلام كما الطباع في النفوس مؤصل

(1) يريد بالطير المرأة، وبيت المطلع من قصيدة:

صدّاح يا ملك الكنا :: ـر ويا أمير البلبل

موازنات عامة في التشبيه

قال عنترة العبسي في وصف روضة:

وخلا الذّباب بها فليس ببارح :: غرّدا كفعل الشّارب المترنّم
هزجا يحكّ ذراعه بذراعه :: قدح المكبّ على الزّناد الأجذم

وهو معدود من التشابيه المفحم، ولكنه أتى به وصف عنترة لروضته بالذباب والأجذم من وصف يحيى بن هذيل المغربي لروضته حيث يقول:

نام طفل النبت في حجر الثّما :: ـما لهذا الظلّ منه الخزامى
وسقى الوسميّ أعصار النّقا :: فهوت تلثم أفواه النّدامى
كحّل الفجر لها جفنه الدّجى :: وغدا في وجنة الصبح لثاما
تحسب البدر لها مقلة :: قد سقته راحة الصبح مداما
حوله الزّهر كؤوس قد غدت :: مثل كفّ الليل عليها قد حنا

وقال امرؤ القيس في وصف محبوبته:

وتعطو برخص غير شثن كأنّه :: أساريع ظبي أو مساويك إسحل

وقال أبو محجن الثقفي في وصف قينة:

ترجّع الصوت أحيانا وتخفضه :: كما يطير ذباب الروضة الغرد

والمرأة الجميلة لا ترضى الآن أن تشبه أصابعها بالأساريع والمساويك، ولا أن تشبه نفسها بالذباب، وإليه هذا من قول الراضي بالله:

قالوا الرّحيل فأنشبت أظفارها :: في خدّها وقد استقلّ حضابا
فكأنّ بانامل منه فضّية :: غرست بأرض نفيّ عقابا

الألوكة
www.alukah.net

وقال النابغة في تشبيه رمد الطرف:

نظرت إليك بحاجة لم تقضها ∴ نظر السقيم إلى وجوه العوّد

وهو تشبيه حسن إلا أنه هجنه بذكر العلة، وتشبيه المرأة بالعليل، وأحسن منه قول عدي بن الرقاع العاملي:

وكأنّما يبس النساء أعارها ∴ عينيه أحور من جآذر جاسم

وسنانة أقصدها النعاس فرنقت ∴ في عينه سنة وليس بنائم

وقال النابغة أيضا:

فإنك كالليل الذي هو مدركي ∴ وإن خلت أن المنتأى عنك واسع

فقيل في تشبيهه الإدراك بالليل إنه قد تساوى الليل والنهار فيما بدا له، وإنما قاله سبيله أن يأتي بما ليس له قسيم، حتى يأتي بمعنى ينفرد به، ولو قال قائل إنه قول النمري في هذا أحسن لوجد مسافا إلى ذلك حيث يقول:

فلو كنت بالعنقاء أو بسنامط ∴ لخلتك إلا أنه قد تراني

وقال أيضا:

بدا وجه وجرة موشيا أكارعه ∴ طاوي المصير كسيف الصيقل الفرد

أراد بالفرد أنه سلول من غمده فلم يعد بقوله - الفرد - عمه سلانا واضحا، والطرماح أصاب بهذا المعنى منه، لأنه أخذه فجوّده وزاد عليه، وإنه كما قال النابغة أجود بهذا قول الطرماح:

يبدو وتضمره البلاد كأنه ∴ سيف على شرف يسل ويغمد

جمع في هذا البيت استعارة لطيفة بقوله - وتضمره البلاد - وتشبيهه إياه بقوله - يبدو وتضمر ويسل ويغمد - وجمع حسن التقسيم وصحة المقابلة

وقال المرار:

وخال على خدّيك بدو كأنه ∴ سنا البدر فد غجاءا بادٍ دجونها

والمعروف أن الخيلاء سود أو سمر، والخدود الحسان إنما هي البيض، فأتى المرار بقلب المعنى

ومثله قول الآخر:

كأنما الخيلاء في وجهه ∴ كواكب أحدقن بالبدر

ويمكن أن يحتج لهذا الشاعر بأنه يقال: شبه الخيلاء بالكواكب من جهة الاستدارة لا من جهة اللون

والجيد في وصف الخال قول مسلم:

وخال كخال البدر في وجه مثله ∴ لقينا المنى فاجزنا البذل

وقال العباس بن الأحنف:

تقول بذات الخال أحسن عندنا ∴ من النكتة السوداء في وضح البدر

شبكة الألوكة
www.alukah.net

باب المجاز والحقيقة

أقسام المجاز والحقيقة

المجاز ينقسم أولا إلى مجاز لغوي ومجاز عقلي، والمجاز اللغوي ينقسم إلى مجاز مرسل ومجاز بالاستعارة، والحقيقة تنقسم إلى حقيقة لغوية وحقيقة عقلية، والمجاز بأقسامه هو الذي يدخل في موضوع علم البيان، لأنه هو الذي تتحقق به الفصاحة في الكلام، وتتفاوت مراتبه فيه، والحقيقة لا مزية لها في ذلك

تعريف المجاز والحقيقة اللغويين

والمجاز اللغوي هو اللفظ المستعمل في غير ما وضع له في اصطلاح التخاطب لعلاقة بينه المعنيين وقرينة مانعة من إرادة المعنى الحقيقي، ويقابله الكناية والحقيقة اللغوية، وسيأتي تعريف الكناية عند الكلام عليها، كما سيأتي تعريف المجاز العقلي والحقيقة العقلية عند الكلام على المجاز العقلي، فأما الحقيقة اللغوية فهي اللفظ المستعمل فيما وضع له في اصطلاح التخاطب كالصلاة إذا استعملت لغة في الدعاء وشرعا في الأقوال والأفعال المفتتحة بالتكبير المختتمة بالتسليم فهي في كل منهما حقيقة لغوية، وإنما كانت يطلق عليها في الثاني اسم الحقيقة الشرعية لذلك في كل منهما مستعملة فيما وضعت له في اصطلاح التخاطب، وهو الاصطلاح اللغوي في الأول والشرعي في الثاني

مزايا المجاز ومقاماته

والمجاز يستعمل في كلام العرب من أجل ميلهم إلى الاتساع في الكلام، وإلى تكثير معاني الألفاظ، ليكثر الالتذاذ بها، لأن كل معنى للنفس به لذة، ولها إلى فهمه ارتياح وصبوة، وكلما قرب المعنى رقت قشرته عندها، وراقت في الكلام أنواره، ولذ للقلب ارتشافه، وعظم به اغتباطه، ولهذا كان المجاز عندهم بمنزلة الموارد والمذانب الارتشاف، وسبيلا سلكوها لهم على سلوكه انعطاف، حتى كثر في كلامهم وصار أكثر استعمالا من الحقيقة، وخالط سويداء قلوبهم فأتوا منه بكل معنى رائق، وبكل لفظ فائق، يزينونه به فخما وأشعارهم، وما إلى هذا منه فنون كلامهم، حتى صارت الحقيقة دثارهم

www.alukah.net

وصار المجاز شعارهم

والمجاز مقامات تقتضيه عندهم، فلا يلجؤون إليه في الكلام جزافاً، ولا يكثرون منه في الكلام لغير حاجة تدعو إليه، لأنه إذا أكثر في الكلام لغير حاجة كان متكلفاً، وتكلفه ينقص كثيراً من مزاياه، وهذه المقامات يرجع بعضها إلى اللفظ، ويرجع بعضها إلى المعنى

فأما المقامات التي ترجع إلى اللفظ فمنها أن يكون اللفظ الدال على المجاز أخف من اللفظ الدال على الحقيقة في النطق، ومنها أن يكون جارياً على القياس الصحيح في تصريفه وبيانه، وتكون الحقيقة منحرفة عنه

وأما المقامات التي ترجع إلى المعنى، فمنها أن يكون لفظ الحقيقة غير لائق فيما يشابه معناه، كما في قوله تعالى (أو لامستم النساء) مجازاً في الوطء وكناية عنه، لأن لفظ الوطء يشابه معناه المعروف، بخلاف لفظ اللمس فكنايته أليق بكلام الله الذي نزل لتعليم الناس آداب القول والفعل. ومنها أن يحصل في المجاز من تأكيد المعنى المقصود خلاف الحقيقة، كما في قولك - رأيت أسداً في حلاحله - أكثر تأكيداً ووقعاً في النفس من قولك: رأيت رجلاً شجاعاً. وفي هذا تتفاوت مراتب الكلام، ويعلو المجاز فيه على الحقيقة، كما قال تعالى (ولا يظلمون فتيلاً) (ولا يظلمون نقيراً) فإنه أبلغ من قوله تعالى (ولا يظلمون شيئاً) وإنما كان في هذا نفي لقليل الظلم وكثيره في الظاهر وبطريق النص، لأن ما قله يفيد ذلك أيضاً بطريق الالتزام، ولا شيء في تفاوت مثل هذا في القرآن، لأنه لكل مقام ما يقتضيه، وجمهور العلماء على أن القرآن تتفاوت مراتبه في ذلك، ولكنه لا ينزل إلى المراتب الدنيا في الفصاحة والبلاغة

جواز القياس في المجاز

استعمل العرب المجاز في كلامهم لعلاقات سيأتي بيانها، إذ لا بد في استعمال المجاز من مراعاة علاقة بين المعنى المجازي والحقيقي كما سبق في تعريفه، لأن

استعمال اللفظ في غير معناه الحقيقي من غير مراعاة علاقة غلط لا مجاز، واختلف العلماء في القياس على العلاقات الواردة في مجازات العرب، فبعضهم يرى أنه يجب الوقوف عند حدها، ولا يجيز لمن بعدهم أن يقيس عليها، وبعضهم يرى أنه لا يجب الوقوف عند حد هذه العلاقات، بل يجيز لنا القياس عليها، وبهذا لا يجب عنده الالتزام نوع العلاقة، لأنه هذا هو مقتضى القياس عليها، والقرينة الأولى يوجب مراعاة شخصها، ولا يكتفي بمراعاة نوعها

وجمهور العلماء على أنه يجوز القياس في المجاز، وأنه لا يجب الالتزام نوع العلاقة فيه، فإذا عرفنا أن العرب استعملوا لفظاً لسبب معناه أو في مشابه أو في نحو هاتين العلاقات جاز لنا أن نستعمل لفظاً آخر في غير معناه لمثل تلك العلاقة، وهذا هو المذهب الراجح عندي، بل يجوز عندي ابتكار علاقات أخرى غير العلاقات التي اعتمد عليها العرب ولو لم تكن من نوع علاقاتهم، إذا استساغها الذوق السليم، ولم تنفر منها الطباع السليمة

بل الحق أنه ليس كل ما جاء العرب به في ذلك قياساً يتبع، ومثال ذلك، لأنهم بشر كغيرهم من البشر، فيجوز عليهم الخطأ في ذلك كما يجوز عليهم الخطأ في غيره، ولا يقتصر جواز الخطأ في ذلك على الحد الذي عندهم، وإنما كان لهم من سليقتهم العربية ما يجعل وقوع هذا نادراً في أقوالهم، ولهذا أمثلة وقعت من فحول شعرائهم كامرئ القيس وغيره، ومنها قول امرئ القيس:

وهرّ تصيد قلوب الرجال :: وأفلت منها ابنة عمرو وحجر(١)

(١) يعني هرت بنت سلامة التي كانت يشبب بها، وحجر بن عمرو أبو عمرو، وكانا ملوك كندة

المجاز المرسل

المجاز المرسل هو اللفظ المستعمل في غير ما وضع له لعلاقة تعريفه غير علاقة المشابهة، كعلاقة السببية في قول الراعي الشاعر يصف راعيا لغنم:

ضعيف العصا بادي العروق ترى له: عليها إذا ما أجدب الناس إصبعا

أي أثر احسنها، فأطلقه الإصبع وأراد أثره لأنه سبب فيه

والمجاز المرسل قد يكون مفردا كما في هذا المثال، وقد يكون مركبا والجمل مفرده الخبرية التي تستعمل في الإنشاء، والجمل الإنشائية التي تستعمل في الخبر، ومركبه ومنه قول جعفر بن علبة الحارثي:

هوايَ مع الركب اليمانين مصعد: جنيب وجثماني بمكة موثق

فهو خبر يراد به إنشاء التحسر والتحزن، ومنه قول النابغة الذبياني:

ولست بمستبق أخا لا تلمه: على شعث أي الرجال المهذب

فإن استفهامه إنكاري يراد به النفي لا حقيقة الاستفهام أي اطلب المفهم

وقيل إن المجاز المرسل لا يكون إلا مفردا، وممن ذهب إلى هذا يجعل نحو ذلك من الكناية لأنه المجاز المرسل، ويبعده أن الكناية يجوز فيها إرادة المعنى الحقيقي كما سيأتي

وللمجاز المرسل مزايا تعلو به على الحقيقة ولكنه لا يبلغ مبلغ الاستعارة مزاياه الآتية، بل إن العلماء ممن يرى أن المجاز المرسل ليس فيه مزية المبالغة التي تتمثل

الألوكة
www.alukah.net

فكانت لفظة هر واستعارة الصيد لمر مضحكة جهينة، ولو أنه أتاه صحيحا سمه فاران بيته ما أسف على إفلاته منه هذا الأسف، وأنه هذا معنى قول زهير بن أبي سلمى:

ليث بعثر يصطاد الرجال إذا: ما كذب الليث عن أقرانه صدقا (١)

لا على أنه امرأ القيس أتى بالخط أعلى جريمة، ولكنه للاهتمام وقرائنه تحتمله وقرائنه تقبحه، كذكر الصيد في البيتين، فإنه قبح الاستعارة في الأول، وحسنها في الثاني

(١) عثر موضع كثر فيه الأسود

بالاستعارة على الحقيقة، وليس له عنده فائدة إلا التصرف واللغة والتوسع فيها. والحق أنه المجاز المرسل ينقسم إلى قسمين: مفيد وغير مفيد، والمفيد يشتمل على مزيتي التوسع والمبالغة، وغير المفيد ليست له إلا مزية التوسع في اللغة وحدها، وهو خاص باستعمال لفظ المقيد في المطلق، كاستعمال لفظ المشفر في الشفة في نحو قولك: فلانه غليظ المشافر، لأنه المشفر موضوع لشفة البعير لا للشفة مطلقا، وإنما كان هذا القسم غير مفيد لقيام مقام أحد المترادفين فيه كليث وأسد ونحوهما، ولا شك أن أحد المترادفين إذا أقيم مقام الآخر لا يقصد به معنى غير معنى الأول، فكذلك يكون استعمال المقيد في المطلق. وهذا هو رأي غير القاهر في هذا الضرب من المجاز المرسل وأنه لم يجعله من استعمال المقيد في المطلق إذ قال فيه: وموضع هذا الذي لا يفيد نقله حيث يكون اختصاص الاسم بما وضع له من طريقه أريد به التوسع في أوضاع اللغة والتنوق في مراعاة دقائقه في الفروق بين المعاني المدلول عليها بوضعهم للعضو الواحد أسامي كثيرة بحسب اختلاف أجناس الحيوان، نحو وضع الشفة للإنسان والمشفر للبعير والجحفلة للفرس وما شاكل ذلك من فروقه، فإذا استعمل الشاعر شيئا من هذا في غير الجنس الذي وضع له فقد نقله عن أصله وجازبه موضعه، كقول العجاج:

«وفاحما ومرسنا مسرجا»

(١) يريد بالفاحم الشعر الأسود كالفحم

يعني أنفا بارزا كالسراج، والمرسن في الأصل للحيوان، لأنه الموضع الذي يقع عليه الرسن، وكقول الآخر (١)

فبتنا جلوسا لدى مهرنا ... نمزع عنه شفيه الصفارا

فاستعمل الشفة في الفرس وهي موضوعة للإنسان. (٢)

ثم ذكر أنه ليس من ذلك نحو قول الفرزدق:

فلو كنت ضبيا عرفت قرابتي ... ولكن زنجي غليظ المشافر

فهذا من الاستعارة وليس من المجاز المرسل، لأنه يتضمن معنى قولك: ولكنك زنجي كأنه جعل لا يعرفني ولا يهتدي لشرفي.

وهكذا قول أوس بن حجر:

وذات هدم عار نواشرها ... تصبت بالماء تولبا جدعا

فأجرى التوأب على ولد المرأة وهو لولد الحمارة في الأصل، وذلك لأنه يصف حال حمار وبؤس والعادة وتمثيله الصفة بأوصاف البرائم ليكون أبلغ في سوء الحال، فهو من الاستعارة أيضا.

أما المفيد من المجاز المرسل فنحو قوله تعالى (أو كصيب من السماء فيه ظلمات ورعد وبرق يجعلون أصابعهم في آذانهم من الصواعق حذر الموت والله محيط بالكافرين) أطلق الأصابع على الأنامل بطريق المجاز المرسل للمبالغة فيما يفعلونه في هذه الحالة، وكذلك قوله تعالى (إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم فمن نكث

(١) الصفار القراد وما بقي في أصول الاستعارة من العلف وقد الرجل هنا
(٢) أسرار البلاغة ص ١ - ٢٢

فإنما نكث على نفسه ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه أجرا عظيما)
أطلقه اليد على القدرة بطريق المجاز المرسل للمبالغة فإن اليد البيعة
علاقاته والمجاز المرسل علاقات كثيرة يتميز بعضها عن بعض بأسماء تؤخذ من
وصف الكلمة التي تذكر في الجملة، فإنه كانت الكلمة جزء ما أريد بها جعل
العلاقة الجزئية، وإنه كانت كلا له جعلت العلاقة الكلية وهكذا
السببية ومن تلك العلاقات علاقة السببية كقول بعضهم:

وذي رحم قلمت أظفار ضغنه .. بحلمي عنه وهو لبس له حلم

أي وذي قرابة، فأطلق الرحم عليها لأنه سبب فيها، ومن هذا
إطلاق اليد على النعمة نحو قولك جلت يد فلان عندي، ووجب أن
يكون الكلام دالة على صاحب تلك النعمة بنسبتها إليه، فلا يصح أن
يقال اتسعت اليد في البلد أو اقتنيت يدا، كما يصح أن تقول اتسعت النعمة
في البلد أو اقتنيت نعمة
المسببية ومن علاقة المسببية كما في قوله تعالى (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة
ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم
الله يعلمهم وما تنفقوا من شيء في سبيل الله يوف إليكم وأنتم لا تظلمون) فالمراد
ما استطعتم من سلاح، ومن هذا إطلاق المسبب وإرادة السبب، ومنه
قول الشاعر:

ولم يبق سوى العدوا .. نه دناهم كما دانوا

ففي قوله دناهم مجاز مرسل علاقة المسببية، إذ المراد جزيناهم بما فعلوا،
فدناهم حقيقة، أو دانوا مجاز، وهذا

مثل قولهم والمثل يحاكي به ما ورد - أي كما تفعل تجازى
ومنها علاقة المحلية كما في قوله تعالى (فليدع ناديه) أي أهل النادي، المحلية
ومنه قول حافظ إبراهيم في صاحب جريدة المؤيد راجيا في قضية الزوجية:

وقالوا المؤيد في غربة .. سقاه بنو الطمع الأشعبي
دعاه الفرات بسنة الكهول .. فجبنا جنونا بنت النبي
فضج لها العرس والمأتم .. وضج لها القبر فوق الترب (١)

ومنها علاقة الحالية كما في قوله تعالى (وأما الذين ابيضت وجوههم الحالية
ففي رحمة الله هم فيها خالدون) أي في الجنة التي هي محل رحمة الله تعالى
ومنها علاقة الكلية كما في قول السموءل:

تسيل على حد الظبات نفوسنا .. وليست على غير الظبات تسيل
أي تسيل دماؤنا
ومنها علاقة الجزئية نحو قوله تعالى (يا أيها المزمل قم الليل إلا قليلا) أي الجزئية
صل فيه، ويجب في هذه العلاقة أمران: أنه يكون الجزء تركيبا حقيقيا، وأنه
يكون بحيث يلزم من انتفائه انتفاء كله عرفا أو بمجاز بزيادة اختصاص المعنى
المطلوب به أو بزيادة شرف على أجزائه، فالأول كإطلاق الرقبة على
الإنسان نحو قوله تعالى (والذين يظاهرون من نسائهم ثم يعودون لما
قالوا فتحرير رقبة من قبل أن يتماسا ذلكم توعظون به والله بما تعملون خبير)
والثاني كإطلاق العين على الجاسوس، والثالث كإطلاق العافية على
القصيدة في قول المتنبي:

خلقت ألوفا لو رجلت إلى الصبا .. لفارقت شيبي موجع القلب باكيا

(١) يريد بالقبر صاحبه وهو النبي صلى الله عليه وسلم

شبكة الألوكة www.alukah.net

ولكنه بالقسطاط بحر أزرقه :: حياتي ونصحي والهوى والقوافيا

اعتبار ما كان ومنه علاقة اعتبار ما كان، مثل قوله تعالى (وآتوا اليتامى أموالهم ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب ولا تأكلوا أموالهم إلى أموالكم إنه كان حوبا كبيرا) فقد سماهم يتامى وحال بلوغهم باعتبار ما كان عليه أولهم

اعتبار ما سيكون ومنه علاقة اعتبار ما سيكون، مثل قوله تعالى (ودخل معه السجن فتيان قال أحدهما إني أراني أعصر خمرا وقال الآخر إني أراني أحمل فوق رأسي خبزا تأكل الطير منه نبئنا بتأويله إنا نراك من المحسنين) أي أعصر عنبا يؤول إلى أن يكون خمرا

المجاورة ومنه علاقة المجاورة، مثل قول عنترة العبسي:

فشككت بالرمح الأصم ثيابه :: ليس الكريم على القنا بمحرم

يريد بالثياب نفسه لمجاورتها له

وهناك علاقات كثيرة غير هذه العلاقات، ويحكمه إدخال كثير منها في بعض ما ذكرناه، ومنه هذه العلاقات إقامة صيغة مقام أخرى، كإطلاق الفاعل على المصدر ونحو قوله تعالى (إذا وقعت الواقعة، ليس لوقعتها كاذبة) أي تكذيب، وكإطلاق اسم المفعول على المصدر ونحو قوله تعالى (فستبصر ويبصرون بأيكم المفتون) أي الفتنة، وكإطلاق اسم الفاعل على اسم المفعول ونحو قوله تعالى (فلينظر الإنسان مم خلق خلق من ماء دافق) أي مدفوق، وكإطلاق اسم المفعول على اسم الفاعل ونحو قوله تعالى (وإذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجابا مستورا) أي ساترا

والمجاز المرسل يقع في الأفعال كما يقع في الأسماء، ويأتي ذلك على أقسام كثيرة منها ما وقوعه بتجوز بلفظ الخبر عن الأمر، كما في قوله تعالى (والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين) أي ليرضعن بلام الأمر، وقوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم، تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون، يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الأنهار ومساكن طيبة في جنات عدن ذلك الفوز العظيم) فقوله (تؤمنون) بمعنى آمنوا، ولهذا أجيب بالجزم في قوله (يغفر لكم) ولا يصح أن يكون جوابا للاستفهام في قوله (هل أدلكم) لأنه المغفرة وإدخال الجنات لا يترتبان على مجرد الدلالة

ومنه التجوز بلفظ الخبر عن الدعاء، كما في قول امرأة من نساء زوجها:

يا قبر سيدنا التجيبة ساحة :: صلى الإله عليك يا قبر

ومنه التجوز بلفظ الخبر عن النهي، كما في قوله تعالى (ليس عليك هداهم ولكن الله يهدي من يشاء وما تنفقوا من خير فلأنفسكم وما تنفقون إلا ابتغاء وجه الله وما تنفقوا من خير يوف إليكم وأنتم لا تظلمون) فمعناه ولا تنفقوا إلا ابتغاء وجه الله

ومنه التجوز بلفظ الأمر عن الخبر، نحو قوله تعالى (قل من كان في الضلالة فليمدد له الرحمن مدا) تقديره مد أو يمد

ومنه التجوز بلفظ الأمر إذا عبر به وضع له من طلب الفعل على جهة الاستعلاء، كاستعماله في الإباحة أو التهديد أو التعجيز أو نحو

شبكة الألوكة www.alukah.net

ذلك، ومنه أحسن ما جاء فيه للإباحة قول كثير:

أسيئي بنا أو أحسني لا ملومة :: لدينا ولا مقلية إن تقلت[1]

ومنها التجوز بلفظ النهي إلى غير ما هو موضوع له من طلب الكف على جهة الاستعلاء، كاستعماله في التهديد نحو قولك لعبد لا يمتثل أمرك: لا تمتثل أمري، وفي التمني نحو قوله الشاعر:

يا ليل طل يا نوم زل :: يا صبح قف لا تطلع

وقوعه في الحروف

وذهب العلوي إلى أن الحروف لا تدخل للمجاز فيها، لأنه وضعها لأن تدل على معانيها وغيرها، فلا بد من اعتبار غيرها وإلا بطلت، فإذا كانت صالحة للدخول عليه كقولك: زيد في الدار وعمرو من الكرام - فهي حقيقة واستعمالها، وإذا كانت غير صالحة للدخول عليه كقولك: من حرف جر ولم حرف نفي صارت مجازا، لكن التجوز إنما كان في إسناد جملة تركيبها لا من جهة الإفراد، والمنع إنما كان في حالة الإفراد لا في التركيب[2]

والحق أن المجاز يقع في الحروف أيضا، لأنه شأن الألفاظ كلها، وذلك كشأن الحروف، فكل لفظ بمفرده لا ينصرف إلى غير حقيقته، وإنما ينصرف إلى ذلك في حالة التركيب لا الإفراد

حروف الاستفهام

ومن الحروف التي يقع فيها ذلك حروف الاستفهام، فقد تستعمل حروفه وأسماؤه في غير الاستفهام كالاستبطاء، والتعجب، والأمر، والتقرير، والإنكار، ومثال ذلك في التقرير قوله تعالى (قالوا أأنت فعلت هذا بآلهتنا يا إبراهيم) أي

(1) ملومة بالرفع أي لا أنت ملومة، ومقلت أبغضت على الالتفات من الخطاب إلى الغيبة (2) الطراز ج1 ص88

بل فعله كبيرهم هذا فاسألوهم إن كانوا ينطقون) والتقرير في الاستفهام يتعلق بما يلي الأداة من الفعل أو الفاعل أو غيرهما، وهو في الآية يتعلق بالفاعل لا بالفعل، ولهذا قال في جوابهم (بل فعله كبيرهم هذا) ولو كان التقرير بالفعل لكان الجواب فعلت أو لم أفعل، وقيل إن الاستفهام في الآية على حقيقته وليس للتقرير، إذ ليس في السياق ما يدل على أنهم كانوا عالمين بأن إبراهيم هو الذي فعل هذا بآلهتهم، والحق أنه في السياق ما يدل على هذا، وهو قوله قبل ذلك (وتالله لأكيدن أصنامكم بعد أن تولوا مدبرين) وقولهم (قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له إبراهيم)

ومثال ذلك في الإنكار قول حافظ إبراهيم مخاطبا لسادات الأفرنج:

أيحسن في قومي عفا الله عنهم :: إلى لغة لم تتصل برواة

سرت لوثة الإفرنج في الكابري :: لعاب الأفاعي في مسيل فرات

فجاءت كثوب ضم سبعين رقعة :: مشكلة الألوان مختلفات

والإنكار يتعلق في الاستفهام بما يلي الأداة أيضا، فهو في هذا الشعر للإنكار الفعل لا الفاعل، وقد يدخل الاستفهام الإنكاري على النفي فيفيد الإثبات، كما في قول جرير:

ألستم خير من ركب المطايا :: وأندى العالمين بطون راح

فالمعنى أنتم خير من ركب المطايا

وقد يتعلق الإنكار بالفعل في صورة لا يلي فيها أداة الاستفهام، وهي نحو

شبكة الألوكة www.alukah.net

قولك: أزيدا ضربت أم عمرا عليه بمعنى أنه ضرب إما زيدا أو إما عمرا ودونه غيرها، لأنه إذا لم يتعلق الفعل بأحدهما والتقدير أنه لم يتعلق بغيرهما فقد انتفى منه أصلا لا محالة، وعلى هذا قوله تعالى (قُلْ أَرَأَيْتُم مَّا أَنزَلَ اللَّهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلَالًا قُلْ آللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ) فالمعنى على إنكار أنه يكون إذن منه لأنه فيما قالوه منه غير أنه يكون منه هذا الإذن وقد كان منه غير الله فأضافوه إليه، لكنه اللفظ أخرج مخرجه إذا كان الأمر على هذا الوجه، ليكون أشد لنفي ذلك وإبطاله، فإنه إذا نفى الفعل عما جعل فاعلا له فالكلام ولا فاعل له غيره لزم نفيه من أصله

حروف النداء: ومن الحروف التي يقع فيها المجاز أيضا حروف النداء، فقد تستعمل في الإغراء والاختصاص وهو التعجب وغيرها، ومن ذلك استعمال (يا) في نداء الأطلال للإشارة معنى القرب والوجع كما في قول الشاعر:

ألا يا سليمى يا دارَ مَيَّ على البِلَى ∴ ولا زال مُنْهَلًا بجَرْعائِكِ القَطْرُ

ومن استعمالها في إفادة معنى التعجب قول طريفة:

يا لك من قُبَّرةٍ بمَعْمَرِ ∴ خلا لكِ الجوُّ فبيضي واصفِري
ونَقِّري ما شئتِ أن تُنَقِّري ∴ قد رُفِعَ الفخُّ فماذا تحذَرِي
لا بُدَّ يومًا أن يُصادِي فاصبِري

المجاز المرسل المشاكلة: ومن المجاز المرسل المشاكلة، وهي ذكر الشيء بلفظ غيره لوقوعه في صحبته، وهذا يسمى المجاز المرسل كما في قول أحد بني محمد الأنطاكي المعروف بأبي الرقعمق:

قالوا اقترح شيئًا نجِدْ لك طبخَهُ ∴ قلتُ اطبخوا لي جُبَّةً وقَمِيصًا

ذكر خياطة الجبة بلفظ الطبخ لوقوعه في صحبة طبخ الطعام، والعلاقة في هذا ترجع إلى علاقة المجاورة التي سبق ذكرها وعلاقات المجاز المرسل

وقيل إن المشاكلة ليست حقيقة ولا مجازا، فأما أنها ليست حقيقة فلأنها مستعملة في غير ما وضعت له، وأما أنها ليست مجازا فلأنه لا بد في المجاز من العلاقة بين المعنى الحقيقي والمجازي، ولا يجب هذا في المشاكلة كما في إطلاق الطبخ على خياطة الجبة، فإنه لا علاقة بينهما، وليس في المشاكلة إلا العدول عن لفظ المعنى إلى لفظ غيره في أماكنه يستظرف فيها مثل هذا، فتكون من المحسنات البديعية كالجناس ونحوه[1]

والوجه أنه لا بد من العلاقة في المشاكلة أيضا، ولو أنه يكفي فيها مجرد المصاحبة اللفظية لصحت المشاكلة في مثل جاءني زيد وعمرو، بأن يقال جاءني زيد وزيد مراد به عمرو لوقوعه في صحبته، والعلاقة موجودة بين الطبخ والخياطة لمشاركة الطبخ للخياطة والإطعام للكسوة في النفع، وهكذا كل أمثلة المشاكلة حتى يضطر إلى القول بأن المشاكلة يمكن أن تكون استعارة[2]

وقد تكون المشاكلة مبنية على مصاحبة لفظية تقديرية، كما في قول أبي تمام:

من مُبلِغٌ أفناءَ يَعْرُبَ كُلَّها ∴ أنّي بنيتُ الجارَ قبلَ المنزلِ

لأن التقدير في ذلك - قبل بناء المنزل، ومن هذا أيضا قوله تعالى (صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة ونحن له عابدون) لأن قوله (صبغة الله) مصدر مؤكد لآمنا في قوله قبل ذلك (قولوا آمنا بالله) والخطاب في هذا للنصارى

(١) حاشية الدسوقي ص ٢٠٩ ج ٤ مع شروح التلخيص (٢) عروس الأفراح ص ٢١٥ ج ٤ مع شروح التلخيص

www.alukah.net

الذهبية يغسلونه أولادهم في ماء أصفر يسمونه المعمودية، ويقولون إنه إيمانهم لله يتعقد إلا بهذه الصبغة، فجيء بلفظ الصبغة في الآية وإن لم يكن قد تقدم لفظ الصبغ لأنه قرينة الحال من غمس النصارى أولادهم في الماء الأصفر تدل عليه

وقد تجري المشاكلة بضد اللفظ المذكور معها، كما حكي أنه رجلا شهد عند شريح فقال له: إنك لتسبط الشهادة، فقال الرجل: إن لم تجعدني، يريد تجريح بقوله أنه الرجل يستر حفظ الشهادة أو قبولها، وأصل السبوطة إرسال الشعر وامتداده، ويريد الرجل بقوله إن لم تجعد عني أنه حافظ لشهادته وليست قاصرة عن إدراكه، فعبر عن قصور الشهادة بالتجعيد الذي هو ضد السبوطة

وقد تجري المشاكلة بلفظ يناسب المذكور معها، كما ورد أنه رجلا قال لوهب: أليس قد ورد أن لا إله إلا الله مفتاح الجنة؟ فقال له وهب: بلى، ولكن ما من مفتاح إلا له أسنان، فإن جئت بالأسنان فتح لك، وإلا لم يفتح لك، فلما عبر عن الشهادة بالمفتاح عبر عن الشرائع والأعمال المعتبرة في الإسلام بالأسنان على طريق المشاكلة، لأن الأسنان تناسب المفتاح ويجري ذكرها معه

الإلفاف التغليب ومنه المجاز المرسل التغليب، وهو ترجيح أحد المفهومين على الآخر في إطلاق لفظه عليهما، وهو باب واسع يجري في فنون كثيرة، ومنه ذلك تغليب المذكور على الإناث في نحو قوله تعالى (ومريم ابنة عمران التي أحصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا وصدقت بكلمات ربها وكتبه وكانت من القانتين) غلب الذكر على الأنثى بأنه أجرى صفة القنوت المشتركة بينهما على طريقة إجرائها على الذكور خاصة، ومنه تغليب جانب المعنى على جانب اللفظ في نحو قوله تعالى (أئنكم لتأتون الرجال

شهوة من دون النساء بل أنتم قوم تجهلون) فالقياس بجهلونه بالياء، لأنه ضمير عائد على قوم ولفظه لفظ الغائب لأنه اسم ظاهر، ولكنه في المعنى عبارة عن المخاطبين

ومنه التغليب بالتثنية، كقولهم الأبوان والعمران والمشرقان والقمران ونحو ذلك، وقد جاء تثنية القمرين للشمس والقمر في قول الفرزدق:

أخذنا بآفاق السماء عليكم ∴ لنا قمراها والنجوم الطوالع

وفي قول المتنبي:

واستقبلت قمر السماء بوجهها ∴ فأرتني القمرين في وقت معا

يعني قمر السماء وشمس وجهها

وإنما كان التغليب من المجاز لأنه اللفظ فيه لم يستعمل فيما وضع له، وهو غلبته شيء على غيره لتناسب أو اختلاط بينهما، وهذا يرجع إلى علاقة الجزئية أو المجاورة

وذكر الخطيب التغليب وعلم المعاني عند الكلام على أدوات الشرط وأحوال المسند، وذكر الدسوقي في الكلام على المشاكلة أن التغليب لما فيه عبارة عن نقل المعنى من لباس إلى لباس لنكتة فإنه البحث عنه من وظيفة علم المعاني (١) وهذا مما وقع فيه كثير من علم البيان والبديع لا بد له من نكتة أيضا، ولا يختص ذلك بالتغليب وحده

ومنه المجاز المرسل التعبير عن المستقبل بلفظ الماضي أو الحال، فالأول مثل قوله تعالى (أتى أمر الله فلا تستعجلوه سبحانه وتعالى عما يشركون به) فقوله (أتى) بصيغة الماضي بمعنى يأتي، لأن أمر الله هو ما وعد به من قيام الساعة أو نزول العذاب بهم يوم بدر

(١) حاشية الدسوقي ص ٢٠٩ ج ٤ من شروح التلخيص

الألوكة
www.alukah.net

والثاني مثل قوله تعالى (إنَّ ما تُوعَدون لواقعٌ) وقوله تعالى (إنَّ في ذلك لآيةً لمن خاف عذاب الآخرة ذلك يومٌ مجموعٌ له الناسُ وذلك يوم مشهودٌ) لأنه كلا منه اسم الفاعل والمفعول حقيقة في الحال مجاز في الاستقبال

التعبير عنه ومنه المجاز المرسل التعبير عنه الماضي بالمضارع، كما في قوله تعالى (واتَّبعوا ما تتلو الشياطين) على ملك سليمان وما كفر سليمان ولكنَّ الشياطين كفروا يعلِّمون الناس السحر) الآية، أي ما تلت الشياطين

وعلاقة المجاز المرسل في هذه النوعية بأنواعه المستقبل والحال والماضي منه التضاد، لأن الضد أقرب خطورا بالبال عند ذكر ضده، فيتبعها ما يجاورها غالبا في الخيال، وقيل إنه ذلك منه قبيل الاستعارة وليس من المجاز المرسل، ووجه الشبه في النوع الأول ما في المستقبل منه تحقق الوقوع مثل الماضي أو الحال، وفي النوع الثاني ما يفرضه منه استحضار الماضي حتى كأنه نصب العين مثل المضارع

وذكر الخطيب القزويني التعبير عن المستقبل بلفظ الماضي في علم المعاني عند الكلام على خلاف مقتضى الظاهر في أحوال المسند إليه، لأنه التعبير عن المستقبل بذلك لكونه لأجل نكتة التنبيه على تحقق وقوعه، فليس من علم المعاني لأنه من علم البيان، وقد علمت أن كل مجاز لا بد له من نكتة، ولا يقتصر هذا على التعبير عن المستقبل بلفظ الماضي وحده

المجاز بالاستعارة

تعريف الاستعارة

سبق أن المجاز اللغوي ينقسم إلى قسمين: مجاز مرسل ومجاز بالاستعارة، وقد يكتفى باسم الاستعارة لأنه قرين معنى المجاز، وتعرف بأنها اللفظ المستعمل في غير ما وضع له لعلاقة المشابهة بين المعنى الحقيقي والمجازي، فعلاقة المجاز المرسل تنحصر في علاقة واحدة هي علاقة المشابهة، بخلاف المجاز المرسل فإنه له علاقات كثيرة كما سبق

وقد يعرف كل من المجاز والاستعارة بمعناه المصدري، فيعرف المجاز بأنه استعمال اللفظ في غير ما وضع له لعلاقة من العلاقات، وتعرف الاستعارة بأنها استعمال اللفظ في غير ما وضع له لعلاقة المشابهة

وللاستعارة بهذا المعنى ثلاثة أركان:

أولها المستعار، وهو لفظ المشبه به

وثانيها المستعار منه، وهو معنى المشبه به

وثالثها المستعار له، وهو المشبه

ويجب أن يضاف ركنان إلى هذه الأركان الثلاثة:

أولهما العلاقة بين المعنى الحقيقي والمجازي، وهي علاقة المشابهة

وثانيهما القرينة، وهي التي تمنع من إرادة المعنى الحقيقي

ويراد بكون للاستعارة ثمة أركان لا ثلاثة

وللاستعارة مزايا وصفات كما لكل مجاز، وسيجيء بيانه مزايا المجاز مزايا ها على الإطلاق، وتمتاز الاستعارة بأنها أعلى أقسام المجاز وأفخرها ومقاماتها وهي في أصلها تشبيه حذف أحد طرفيه ووجه وأداته، فلها مزايا التشبيه أيضا، ولكنها أيضا أعلى من التشبيه وأبلغ وسيجيء قول الجاحظ عبد القاهر دلائل الإعجاز أنك إذا قلت رأيت أسدا - تريد رجلا شجاعا، كنت بحذفك لما عدا لفظ المشبه به من أركانه التشبيه قد بلغت لما

الألوكة
www.alukah.net

أردت إثباته له من فرط الشجاعة، حتى جعلت فرط الشجاعة الذي يجب له الثبوت والحصول، والأمر الذي نُصِبَ له دليل يقطع بوجوده، وذلك أنه إذا كان أسد فواجب أن تكون له تلك الشجاعة العظيمة، والمستحيل أو الممتنع أن يرى فارس، وإذا صرّحت بالتشبيه فقلت - رأيت رجلا كالأسد - كنت قد أثبتّ إثبات الشيء يُحتجّ به أنه يكون وبيّنه أنه يكون، ولم يكن فيه حديث الوجوب في شيء (١)

وكذلك تقول: رأيت البارحة الأسد فذكرا زيدا أحد الأسدان، وأسدّ افتراسا وأذهب نجدا في الصناعة وغوْرا منه أنه يجمع شُعَبَ فرط وصور زيد، وتحصيل فنون زيد وصور زيد، وفيه خصائص فرط زيد تعطيك الكثير من المعاني حتى تخرج منه الصورة الواحدة عِدّة من الدُّرر، وتجني منه الفصة الواحد أنواعا من الثمر (٢)

وذكر بعضهم أن الاستعارة إنما كانت أبلغ من التشبيه لأنه لا بُدّ فيه من ذكر الطرفين، وفي ذكرهما اعتراف بتباينهما، وبأنه العلاقة بينهما ليست إلا التشابه والتداني، فلا يصل التشبيه إلى ما في الاستعارة من دعوى الاتحاد بين الطرفين، وادّعاء أنه المشبه فرد من أفراد المشبه به، ولهذا أُبنيت الاستعارة على تناسي التشبيه، ولم يمتنع في ذكر طرفي الأعلى وجه ينبني عنه ولا يوافق ما يبنى عليه من تناسيه، بأن يكون المشبه به خبرا عن المشبه أو في حكم الخبر، كما في باب كان وأخواتها، وباب إنّ وأخواتها، وباب ظنّ وأخواتها، لأنها لا تدخل إلا على المبتدأ والخبر أو بأنه يكون حالا أو صفة أو مضافا كما في قول ابن خفاجة الأندلسي:

(١) دلائل الإعجاز ص ٥٨ (٢) أسرار البلاغة ص ٢٠

والترشيح تبعث بالفصوله وقد جرى: ذهب الأصيل على لُجَيْن الماء

أو بيّنا المشبه صريحا أو ضمنا، كما في قوله تعالى (وكلوا واشربوا حتى يتبيّن لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر) بيّن فيه الخيط الأبيض بالفجر، وضمنه بيّن الخيط الأسود بالليل، فكل هذا من التشبيه المحذوف الأداة، وليس من الاستعارة في شيء، أما ذكر ذلك على وجه لا ينبني عنه التشبيه فكقول أبي الحسن بن لنباطيا:

يا من حكى الماء رِقّة ولطافة :: وقلبه قساوة الحجر

يا ليت حظي من وصلك من :: جسمك يا واحد من البشر

لا تعجبوا من بلى غلالته :: قد زرّ أزراره على القمر (١)

فإطلاقه القمر على محبوبه استعارة وإن كان مذكورا بضميره قبلها، لأنه ذكره ليس على وجه ينبني عنه تشبيه.

والاستعارة مقامات تقتضي رد وجه التشبيه والحقيقة، بأن يكون المقام مقام المدح أو المبالغة في مدح، أو ذم، أو فخر، أو نسيب، أو غير ذلك، وهذا مع مراعاة ما يجب في خطاب الذكي وخطاب الغبي، لأنه هذا لا بُدّ منه اعتبار أيضا في الاستعارة وغيرها من أبواب علم البيان.

وتنقسم الاستعارة إلى قسمين: استعارة تصريحية، واستعارة مكنية، تقسيم إلى تصريحية ومكنية

والاستعارة التصريحية هي التي حذف فيها المشبه وأقيم المشبه به مقامه

(١) الغلالة شعار تحت الثوب

به مكانه، وهذا كما في قول الحريري:

فرجعت شفقا على ناقتي :: وساقطة لؤلؤا من نحره

شبه الخمار بالشفق لحمرته، وشبه الوجه بالقمر، وشبه الثنايا باللؤلؤ، وشبه الفم بالخاتم، ثم حذف المشبه وكل هذا وأطلق عليه لفظ المشبه به.

ومن هذا قول جحل بن نظر الديلي وقد طلع رأسه للشيخ على يوسف:

بنات الدهر عوجي لا تريابي :: فخلا الوادي من الأسد الغضاب[1]

شبه الرجال بالأسد الغضاب، ثم حذف المشبه وأطلق عليه لفظ المشبه به.

ومن هذا قول الشاعر:

فرعاء إن رضت لجاجا :: عجل القضيب وأبطأ الدعص

وتقديره: عجل قد كالقضيب وأبطأ رد كالدعص.

الاستعارة المكنية هي التي حذف فيها لفظ المشبه به وذكر لفظ المشبه وحده، كما في قول حافظ إبراهيم على لسان مصر:

قد وعدت العلا بكل أبي :: مهر رجالي فأنجزوا اليوم وعدي

أمهروها بالروح فهي عروس :: تشتهي المهر من عروسيه ونقدي

شبه العلا في قوله - أمهروها - بالعروس، ثم حذف لفظ

---

[1] يعني بنات الدهر نوائبه

المشبه به، ورمز إليه بإثبات شيء من لوازمه للمشبه وهو المهر، لأنه يدل عليه. أما قوله - فهي عروس - فتشبيه بليغ.

ومن هذا قول أبي ذؤيب الهذلي:

وإذا المنية أنشبت أظفارها :: ألفيت كل تميمة لا تنفع

شبه المنية بالسبع في اغتيال النفوس بالقهر والغلبة، ثم حذف لفظ المشبه به، ورمز إليه بإثبات لازمه للمشبه وهو الأظفار، لأن لازم المكنية لا يكون إلا للأسد.

ولعلماء البيان مذاهب في الاستعارة بالكناية تختلف باختلاف آرائهم فيها، فذهب ابن الأثير إلى أن ليست في شيء من الاستعارة، وإنما هي عنده من التشبيه المضمر الأداة[1] وذهب الخطيب القزويني إلى أن تشبيه مضمر في النفس، فلا يصرح بشيء من أركانه سوى المشبه، ويدل عليه بأن يثبت للمشبه أمر مختص بالمشبه به[2] وهو قريب من مذهب ابن الأثير فيما، وإنما ذهبنا فيما إلى هذا المذهب لأنه لفظ المشبه المذكور فيها أريد منه حقيقته، فلا يكون هناك تجوز فيها، ولا تكون من الاستعارة لأنها قسم من المجاز.

وجمهور القدماء على أن من المجاز ما هو استعارة وليست من التشبيه، وهي ما حذف عندهم على لفظ المشبه به المستعار في النفس للمشبه، فمثيل لها هذا مثيل الاستعارة التصريحية،

---

(١) المثل السائر ص ١٤٩ (٢) الإيضاح ص ٢٨٠ ط ٣ بغية الإيضاح

شبكة الألوكة www.alukah.net

وليس بينها إلا ذلك الفرق السابق، وتطلق عند السكاكي على لفظ المشبه المستعمل في المشبه به ادعاء، فيكون المراد من المنية في بيت الهذلي الموت الذي له صورة السبع، لا الموت مطلقا، وهذا معنى مجازي لا حقيقي قبيح، وكذلك كل مثال لهذا الاستعارة من المكنية، لأنها

الموازنة بينه وبين التصريحية والمكنية

لم تختلف في أمرها، ولم يذهب أحد إلى إنكار عدها من الاستعارة مثلها، ولكنه هذا لا يقدح في فصاحتها، ولا يجعلها أقل من التصريحية منزلة، بل ذهب السبكي إلى أن الاستعارة المكنية أبلغ من الاستعارة التصريحية، لأن المكنية جامعة بين الاستعارة والكناية

الاستعارة التخيلية

ويرى السكاكي أن الاستعارة التخيلية أبلغ من الاستعارة التصريحية، لأن الاستعارة التصريحية تنقسم عنده إلى قسمين: تحقيقية وتخيلية، والتحقيقية ما كان المستعار له فيها محققا حسا أو عقلا، كقول نوفي في الاحتفال بكريم حافظ إبراهيم:

نظمتني الترنمات نزفرها: إلى علم به النوابغ تفرد

أي إلى رجل أو شاعر كعلم في شهرته، والمستعار له هنا محقق حسا، ومثل قوله تعالى (اهدنا الصراط المستقيم، صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين) استعير فيه لفظ الصراط لملة الإسلام، وهي محققة عقلا

والتخيلية ما كان المستعار له فيها غير محقق حسا ولا عقلا، بأن يكون صورة وهمية بحتة، ومن ذلك استعارة الأظفار

المنية في قول الهذلي السابق في الاستعارة المكنية:

وإذا المنية أنشبت أظفارها: ألفيت كل تميمة لا تنفع

فإنه لما شبه المنية بالسبع في الاغتيال على طريق الاستعارة المكنية أخذ الوهم صورة المنية بصورة السبع ويخترع لوازمه لها، فاخترع لها مثل صورة الأظفار، ثم أطلقه على هذه الصورة لفظ الأظفار على طريق

الاستعارة التخيلية التصريحية

ولما تحدث الاستعارة التخيلية عند السكاكي غير تابعة للاستعارة المكنية، فإذا قلت - أظفار المنية الشريرة السبع تشبث بفلان - كان استعارة تخيلية منفردة عن المكنية، للتصريح فيه بتشبيه المنية بالسبع، ولكن الكلام ركيك خال من كل أثر للبلاغة، ومن أجل هذا استرجحه قول أبي تمام:

لا تسقني ماء الملام فإنني: صب قد استعذبت ماء بكائي

على القول بأن قوله - ماء الملام - استعارة تخيلية، وسبق في الكلام على وجوه الحسن والقبح في التشبيه أن هذا يجوز أن يكون من إضافة المشبه به إلى المشبه، فيكون تشبيرا لا استعارة

ويرى الخطيب القزويني أن الاستعارة التخيلية ليست من المجاز اللغوي بقسميه، وإنما هي عنده إثبات لازم المشبه للمشبه به استعارة المكنية، وهذا كإثبات لفظ الأظفار للمنية في بيت الهذلي السابق، فالمجاز عنده في إثبات الأظفار لها لا في لفظ الأظفار نفسه على

الألوكة
www.alukah.net

حقيقة، وإذا كانت باقية على حقيقتها فإنه لا يكون فيها مجاز لغوي
ولا يخفى أن الاستعارة التخييلية بهذا المعنى لا تكون إلا مع قرينة المكنية،
فلا يمكن أن تنفرد عنها كما ذهب إليه السكاكي، ويرى الخطيب
من أجل هذا أنه قول أبي تمام:

لا تسقني ماء الملام فإنني ... صبٌّ قد استعذبت ماء بكائي

تشبيه لاستعارة تخييلية، ثم جوّز أن يكون أبو تمام شبه
الملام بظرف الشراب لاشتماله على ما يكرهه الملوم، كما أنه الظرف
قد يشتمل على ما يكره الشارب لبشاعته أو مرارته، فلا يكون
الاستعارة التخييلية فيه غير تابعة للمكنية كما ذهب إليه السكاكي،
وكلا الوجهين مستبعد في البيت، لأنه كما ينبغي له أن
يشبه الملام بشراب مكروه أو ظرف شراب مكروه، فيكون بينهما
بهذا مناسبة تسوّغ التشبيه والاستعارة، أما الماء فلا مناسبة
بينه وبين الملام حتى يصح تشبيه الملام به، لأن الملام مستكره والماء
مستلذّ، فلا مناسبة بينهما أصلا، ولهذا لم يستقبح نحو قولهم: أعلقت
لفلانة القول وجرّعته منه كأسا مرّة أو سقيته أمرّ من العلقم - وإنما قبحت
الملام بمثل ما نعته به أبو تمام في قوله:

عذلا كثيرا بالجنون كأنما ... قرأت به الوهاء سطر كتاب (١)

فشبه العذل بالجنون ذلك التشبيه اللائق، ولم يذهب فيه كما ذهب

---

(١) الوهاء الحمقاء

البيت السابع

الاستعارة لا تدخل في الأعلام الشخصية، لأنه بناءها كما سبق الاستعارة في الأعلام
على ادّعاء دخول المشبه في جنس المشبه به، وهذا لا يتأتى في هذه
الأعلام، ولكنها قد تتضمّن نوع وصفة تتضمنه اسم - حاتم - وصف
بالجود، وتتضمنه اسم - مادر - وصف بالبخل، فإذا تضمنت هذه الأعلام
مثل هذه الوصفة فإنه يجوز أن تدخل الاستعارة كما تقول عند رؤيتك
جوادا من الناس - رأيت حاتما - فتكون كأنك جعلت اسم - حاتم -
موضوعا للجواد، وجعلت من رآه فرادا من أفراده، ومن ذلك قول
شوقي في مصطفى كمال:

الله أكبر لم في الفتح من عجب ... يا خالد الترك جدّد خالد العرب

وقوله في حافظ إبراهيم:

قالوا حبيب أنت نظري شعره ... من ذا الذي لم يطر شعر حبيب

من كأس في ترب فذا ديوانه ... راح العقول وكأس كل أديب

وهو يعني في الأول بخالد الترك مصطفى كمال، فاستعار له اسم خالد
ابن الوليد، ويعني في الثاني بحبيب في قوله - شعر حبيب - حافظ
إبراهيم، فاستعار له اسم أبي تمام، وهو حبيب بن أوس
وذكر العلوي أنه الأعلام الشخصية لا تدخلها المجاز
مطلقا، استعارة كانت أو مجازا مرسلا (١) ولعله يعني أنه لا يدخلها
شيء من ذلك على حال، فلا يكون هناك خلاف بينه وبين غيره

(١) الطراز ص ١٩٩ ج ١

الألوكة
www.alukah.net

الاستعارة وتدخل الاستعارة في المشتقات من الأفعال وغيرها، ولكنها لا تجري التبعية في المشتق فيها إلا بعد جريانها في مصادرها، ولهذا تسمى استعارتها استعارة تبعية، كما في قول ابن المعتز:

جمع الحق لنا في إمام ... قتل البخل وأحيا السماحا

شبه إزالة السماح بالقتل وإزالة السماح بالإحياء، ثم استعار اللفظ الدال على المشبه به في كل منهما للمشبه، ثم اشتق منه الأول - قتل - بمعنى أزال، ومنه الثاني - أحيا - بمعنى أزاح

ومنها قول كعب بن زهير:

صبحنا الخزرجية مرهفات ... أبار ذوي أرومتها ذووها

فالاستعارة في قوله - صبحنا - لأنها في الأصل بمعنى التحية في الصباح، فاستعارها للإغارة عليهم بالمرهفات في الصباح على سبيل التهكم، ثم اشتق منها - صبحنا - بمعنى أغرنا عليهم في الصباح

ومنها قوله تعالى (قالوا يا شعيب أصلاتك تأمرك أن نترك ما يعبد آباؤنا أو أن نفعل في أموالنا ما نشاء إنك لأنت الحليم الرشيد) يريدون السفيه الغوي - فاستعاروا الحلم والرشد للسفه والغي على سبيل التهكم، ثم اشتقوا منها - الحليم الرشيد - بمعنى السفيه الغوي

ومنها قوله تعالى (أتى أمر الله فلا تستعجلوه سبحانه وتعالى عما يشركون) تجوزها في الفعل - أتى - بمعنى يأتي، وهذا باعتبار ما منه الاشتقاق باعتبار حدثه كما في الأمثلة السابقة، وهو عندهم من الاستعارة التبعية أيضا، فشبه فيه الإتيان

والمستقبل بالإتيان في الماضي لتحققه وقوعه منه، ثم استعير لفظ الإتيان في الماضي للإتيان في المستقبل، ثم اشتق منه الإتيان في الماضي - أتى - بمعنى يأتي

الاستعارة التبعية في الحروف

وتدخل الاستعارة في الحروف على اختلاف أنواعها، وتسمى استعارة تبعية أيضا، لأنه الاستعارة تجري فيها تبعا لمتعلقات معانيها، كالجر والظرفية في قولك - زيد في نعمة - فقد شبه النعمة على زيد بالدار المشتمل عليه، ثم استعمل في النعمة لفظ - في - وهو موضوع حقه أن يستعمل في الدار ونحوها للإناء والنعمة ونحوها

ومنها قول الشاعر:

هم صلبوا العبدي في جذع نخلة ... فلا عطست شيبان إلا بأجدعا[1]

أي على جذع نخلة

وقيل إنه متعلقات معاني الحروف هي معانيها الكلية، فيقال في إجراء الاستعارة في هذا البيت: شبه مطلوبه استعلاء بمظروفية بجامع التمكن في كل منهما، ثم سرى التشبيه من ذلك الجزئيات التي هي معاني الحروف، فاستعير لفظ - في - الموضوع لكل جزئي من جزئيات الظرفية لمعنى لفظ - على - الموضوع لكل جزئي من جزئيات الاستعلاء، وفي هذا تكلف ظاهر للطريقة التقريرية في الفنون الأدبية

ومنها قوله تعالى (فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا) فشبه ترتب العداوة والحزن على الالتقاط بترتب العلة الغائية عليه بجامع مطلق ترتب شيء على شيء في كل منهما، ثم سرى التشبيه من ذلك الجزئيات التي هي معاني الحروف، فاستعيرت الأسماء الموضوعة

---

(١) الأجدع القوة

الألوكة www.alukah.net

لكل جزئي منه جزئيات العلة الغائية فالمحبة والتبني للام التي تدل على العداوة والحزن، وإلى هذا يشير قول الزمخشري: معنى التعليل في اللام وارد على طريقة المجاز، لأنه لم يكن داعيهم إلى الالتقاط أنه يكون لهم عدوا وحزنا، ولكنه المحبة والتبني، غير أنه لما كان نتيجة التقاطهم وثمرته شبه بالداعي الذي يفعل الفاعل الفعل لأجله، ثم قال: وهذه اللام هكذا في الأسد حيث استعيرت لما يشبه التعليل، كما يستعار الأسد لمن يشبه الأسد. وهذا منه الزمخشري أليق بقانون البلاغة وما يصل بهذا أنه - يا - حرف وضع وأصله لنداء البعيد، وقد يستعمل في نداء القريب لتنزيله بالبعيد باعتبار أمر يرجع إليه أو إلى المنادى، أما الأول فكقولك لمن هو على رأسك وفي قبضتك - يا فلان - وأما الثاني فكقول الداعي في جواره - يا الله - وهو أقرب إليه من حبل الوريد، فإنه استحضار منه لنفسه، واستبعاد لها من ظلمة الزلفى وما يقربه إلى رضوان الله تعالى.

ويرى السكاكي أنه لا داعي إلى زيادة هذا القسم في الاستعارة، ويقول في ذلك: لو لم يجعلوا الفعل والحرف استعارة تبعية، بل جعلوا في مدخولها استعارة مكنية بقرينتها، كما فعلوا في - أنشبت المنية أظفارها - أقرب إلى الضبط (١) فتجري الاستعارة على مذهبه في المجرد في قوله تعالى (أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون) بأن شبه يتشبثون الهدى بداية تركب بجامع التمكن من كل

رد السكاكي التبعية إلى المكنية

(١) مفتاح العلوم ص ٢٠٤

فذكرها، ثم حذف المشبه به ورمز إليه بشيء من لوازمه وهو لفظ على، فكل من الاستعارة مكنية أصلية قرينتها التقطهم على - وهذا تجريد للاستعارة في الفعل ونحوه، فيقال في نحو - عضنا الدهر بناب - شبه الدهر بحيوان مفترس يجامع الإيلام في كل منهما، ثم استعير المشبه به للمشبه وحذف ورمز إليه بشيء من لوازمه وهو العض.

وهنا خلافات يعني القوم بجمع أزيد الأطائل تحريرا، فمنها خلافات الخلاف في التشبيه المحذوف الأداة والوجه، فقد ذهب قوم إلى أنه تخييل استعارة وليس بتشبيه، لأنه المفهوم منه قولنا - زيد أسد - مثل المفهوم منه قولنا - لقيت أسدا - وهو المبالغة في المجاز (١) فإذا قضينا بكونه أحدهما استعارة وجب أن يكون الآخر كذلك منه غير تفرقة بينهما.

وقال العلوي: المختار عندنا أنه من الأول، فإما أن يكون الكلام مسوقا على جهة الاستعارة، فلو قدرنا ظهور آلة التشبيه لنزل قدره ولخرج عن دباجة البلاغة، وما هذا حاله يكون من باب الاستعارة ويفسد جعله من التشبيه، ومثاله قوله تعالى (فأذاقها الله لباس الجوع والخوف) فالذوق هنا استعارة بليغة في ذلك، ولو قدر فيه التشبيه فقيل - وأذاقهم الله الجوع والخوف اللذين هما كاللباس - لأنه الركاكة بمكان.

وكذلك لو قلت في نحو قول الأواء الدمشقي:

فأمطرت لؤلؤا من نرجس وسقت ... ورد او عضت على العناب بالبرد

فما هذا حاله من فيه الاستعارة وعجيبها، فلو أظهرت التشبيه فيه وقلت - فأمطرت دمعا كاللؤلؤ من عيون كالنرجس وسقت خدا كالورد وعضت أنامل مخضوبة كالعناب بأسنان كالبرد - لكان غاية الكلام فضلا

(١) يعني به المعنى المجازي وهو الشجاعة

عنه لكونه لبيطا

وإما إن يكون الكلام متسقا مع ظهور أداة التشبيه كقول البحتري:

إذا سفرت أضاءت شمس وجنته ... ومالت وتعطف غصنه بانه

فإنك لو قلت: سفرت مثل ضوء الشمس ومالت وتعطف مثل غصن البانه - لم يخرج الكلام عنه بلاغته، وما هذا حاله يكون بشيرا الاستعارة[1]

وانى أرى أنه قبح تقدير الأداة والتشبيه لا يخرجه عن كونه تشبيرا إلى الاستعارة، لأنه لابد في الاستعارة من تحقق معنى التجوز بحكم أو بقسم من المجاز، ولا تجوز وذكر طرفي التشبيه مع حذف أداته، لأنه كلاهما باق فيه وهو في هذه الحالة على معناه الموضوع له كما لو ذكر هذه الأداة

ومن [illegible] اختلافهم في أنه الاستعارة مجاز لغوي أو عقلي، ولا يريد من يذهب إلى أنها مجاز عقلي [illegible] بمعناه فيما سبق، بل يريد أنه ما يحصل في الاستعارة من دعوى دخول المشبه في جنس المشبه به ليس الا تصرفا عقليا، وأيد ما ذهب إليه من أنها مجاز عقلي وليست مجازا لغويا بأنه بعد ادعاء دخول المشبه في جنس المشبه به يكون لفظ المشبه به لم يخرج عن كونه مستعملا فيما وضع له، فلا يكون هذا أو سمي من المجاز اللغوي، ومن ثم صح التعجب في قول ابن العميد يصف غلاما جميلا له:

قامت تظللني من الشمس ... نفس أعز علي من نفسي

---

(١) الطراز ج ١ ص ٢٠٧ وإنما يكون بيت البحتري من التشبيه على نصب شمس وغصن على الحالية فإذا رفع الأول على الفاعلية كان استعارة لا تشبيرا

قامت تظللني ومن عجب ... شمس تظللني من الشمس

فلو أنه ادعى لغلامه معنى الشمس الحقيقي لما كان لهذا التعجب وجه ولا يخفى أن ادعاء دخول المشبه في جنس المشبه به لا يخرجه عن كونه مستعملا في غير ما وضع له، فيكون قد قطع عنه المجاز اللغوي، وأما هذا التعجب ونحوه فيكفي فيه أنه مبني الاستعارة على تناسي التشبيه وادعاء الاتحاد به الطرفين كما سبق

ومن [illegible] اختلافهم في وقوع المجاز في القرآن الكريم، وبعض العلماء ينكر عن أنه اللغة حقيقة كلها ومنكر المجاز مطلقا، وبعضهم يزعم أن اللغة كلها مجاز وأنه الحقيقة غير محققة قط، فأما من أنكر وقوع المجاز في القرآن الكريم فقد ذكر في ذلك أنه الله تعالى لو خاطب بالمجاز لكان يجوز وصفه بأنه متجوز مستعير، وهذا غير لائق به الحكمة، وذكر أيضا أن كلام الله تعالى كله حق وصواب، وكل حق فله حقيقة، وكل ما كان حقيقة فلا يدخله المجاز، وهذا هو المطلوب

ومن هذا يمكن دفعه أولا بأنه وقوع المجاز في القرآن ظاهر وكثير، قال الله تعالى (واشتعل الرأس شيبا) وقال تعالى (فوجدا فيها جدارا يريد أن ينقض فأقامه) وعلى الجملة فالمجاز في القرآن أوضح من أن يضبط بحد، وما وقع فيه من ذلك إما أنه يراد به معنى أولا، والثاني باطل منزه عنه كلام الله تعالى، والأول إما أنه يراد به ما وضع له أو غيره، فإنه أريد به ما وضع له فهو باطل، لأنه ليس

الاستعمال فيه، والإرادة لا تعقل منه الجدار، وإنه لم يرد به ما وضع له فهذا هو المجاز وهو المطلوب

ويمكنه دفعه ثانيا بأنه إجراء الأوصاف الإلهية مرجعه الشرع، فما أذن فيه أطلقناه، وما سكت عنه توقفنا في حاله، وبأنه كلام الله تعالى حمله على معنى أنه صدقه لا كذب فيه، لأنه أجل أن ألفاظه مستعملة فيما وضعت له، والمجاز يفارق الكذب من وجه يمنع بناء الاستعمال فيه على التأويل مع نصب القرينة على أنه المراد به خلاف ظاهره، فإنه الكاذب يتبرأ من التأويل، ولا ينصب دليلا خلاف زعمه

وإذا كنا قد أطلنا بعض التطويل في هذه الخلافات التي لا تفنى في هذا العلم حيثياته فإنه هذا مما لا يذكر بجانب ما أطالوا به فيها، ولم يكن لنا بد من ذكرها والإشارة إلى ما بيناه من قيمة في هذا العلم

الاستعارة الحسنة والقبيحة

قال عبد القاهر: إنه ليس كل شبه يجيء فيه التشبيه الصريح بذكر وجه الشبه والكاف ونحوها يستقيم نقل الكلام فيه إلى طريقة الاستعارة وادعاء ذكر المشبه جملة والاقتصار على المشبه به[1]

وهذا هو النظر الصحيح في أمر الاستعارة مع التشبيه، فلا بد فيها من مراعاة وجوه لا يتم حسنها إلا بها، فإذا فقدت وجدها منزلة كانت استعارة قبيحة، وهي خمسة وجوه:

أولها مراعاة ما سبق منه وجوه حسنه مراعاة حسنه في التشبيه كلها، لأنه التشبيه أصل الاستعارة وهي فرع له، ولا يمكنه أن يحسن الفرع مع قبح أصله، وحسنه تلك الوجوه كما سبق مراعاة المناسبة بين المشبه والمشبه به من أجل

هذا قبحت الاستعارة في قول أبي نواس:

بح صوت المال مما ... منك يشكو ويصيح

لأنه لا مناسبة بين المستعار له والمستعار منه، ومراده من هذا أن المال يتظلم منه إهانته له بالتنزيه بالإعطاء، فالمعنى جيد والعبارة قبيحة لا تلوح في خيال الفصاحة، ومثال هذا المعنى أيضا:

ما رحل المال أضحت ... تشتكي منك الكلا

وهذا أرق من الأول وأنزل عنه قدرا، وإنما الجيد في ذلك

---

(١) أسرار البلاغة ص ١٩٩

قول مسلم بن الوليد:

تظلّم المالُ والأعداءُ منه بدِه :: لذا زال للمال والأعداء ظلّاما(1)

ظهور وجه وتأنيه ... ظهور وجه الشبه بين الطرفين ظهورا يجعله مما يقرب الشبه ... مأخذه، ويسهل تناوله، ويكونه في الحال دليلا عليه، وفي العرف شاهدا له، وهذا بأن يكون وصف المشبه به كالنور والحسن في الشمس، والطيب والمسك، والحلاوة في العسل، والشجاعة في الأسد، وما إلى ذلك، ففي كل هذا تحسن الاستعارة بحيث يكون التصريح بالتشبيه فيه قبيحا، فإذا لم يكن وجه الشبه كذلك قبحت الاستعارة ويقبح التصريح بالتشبيه، كما في قول أبي تمام:

رأيتُ صنائعًا ثكلتْ فأمستْ :: ذبائحَ والمطالُ لها سِفارُ(2)

نسيبُ البخلِ بدّ كانا وإلّا :: لكنتَ فسيحةً فيها جوارُ

لذلك قيل بعضُه المنعُ أدنى :: إلى بعدٍ وبعضُه الجودُ عارُ

وكانه المطلُ في بيدٍ وعودٍ :: دخانًا للصنيعةِ وهي نارُ

شبه المطل بالدخان والصنيعة بالنار، ولكنه صرح بذكر المشبه وأوقع المشبه به خبرا عنه، وهو كلام مستقيم، ولو سلكت به طريقة الاستعارة فقلت - أقبستني نار الرجاء فكانه ساقها - وهذا لأنه شبه به الصنيعة والنار لم يتقرر في العرف، وإنما هو شيء وضعه أبو تمام وتحكّله

خلوه من التشبيه ... وأما خلو اللفظ في الاستعارة مما يشم منه رائحة التشبيه، وظهور رائحته بكون المشبه بذكر المشبه على وجه ينبئ عن التشبيه ولا

(1) إنما قلنا به هذا هو الجيد لأنه الأمر الذي يصل فيه إلى أن يستعار للمال لسان يصح أو رجلا تشكو الكلال

(2) ثكلت = فقدت، والسفار جمع سفرة وهي السلة

يل به الاستعارة، كما سبق في قول ابن طباطبا:

لا تعجبوا لي كيف غلالته :: قد زرّرَ الأزرارَ على القمر

طلاقة القمر على كونه استعارة وإنه ذكر المشبه بضميره قبل ما ... ذكره ليس على وجه ينبئ عن التشبيه ويدخل تلك الاستعارة ... لظ مع هذا قبيحة، لأنه ذكر المشبه يشم منه لفظ رائحة ... شبيه، مع أنه الاستعارة مبناها على تناسيه كما سبق، وعندي ... مثل هذا الأصل إلى درجة القبح

منه أيضا قول المتنبي:

فلم أرَ قبلي مثلَ جرٍ ولا بعدي :: ولم ترَ قبلي مثلَها تتكلّمُ

... وجرا كبدر وهيالكيت، وعندي أنه هذا الأصل إلى درجة القبح أيضا

... بعد مراعاة جانب اللفظ والمعنى، بأنه يخلو اللفظ منه تنافر الحروف ومراعاة اللفظ والمعنى
لفظي ونحوهما، وبأنه يكون المعنى صحيحا مستقيما، ولهذا عيب على أبي تمام

قوله:

قرّت بقربانه عيونُ البرّيّة واشترت :: بالأشتريّة عيونُ الشرك فاطمأنّا

... أولا لأنسى اللفظ، وثانيا بعيد الاستعارة، لعدم الوجه الذي جعل ... منه والشرك منه أجله عيونا، وإنما ساء لفظه لذلك التكرار المستكره ... ه

ومن ذلك قول أبي عبادة:

يشمّ عليه الريح كلّ عشيّة :: هبوبَ الغمامِ بين بكرٍ وأيّمِ

جعل منه الغمام بكرا وأيما على سبيل الاستعارة، ولكنه أخطأ في وضعه الأيم مكان الثيب، لأن الأيم التي لا زوج لها ولو كانت بكرا

وكذلك قول المتنبي:

وقد ذقتُ حلواءَ البنينَ على الصِّبا :: فلا تحسبني قلتُ ما قالتِ الحمقى

شبكة الألوكة www.alukah.net

لأنه الذي يقال في هذا حلاوة لا حلواء، وتلك اللغة مفردة الحرف لا مرآة حقيقة غير ما هي مستعارة فيه

وكذلك قول مسلم بن الوليد:

وليلة خليت للبين مبتكرا :: هتكت فرط الضبا عن بيضة الخجل

فاستعار للخجل أي الكلل بيضة كما استعارها امرؤ القيس للخدر في قوله:

وبيضة خدر لا يرام خباؤها :: تمتعت من لهو بها غير معجل

وكل منهما يعني المرأة، ولكنه أتقن لمسلم سوء الاشتراك في اللفظ، لأن بيضة الخجل من الطير نشاركها، وهي أيضا حسنة المنظر، ومثل هذا قوله:

رمت السلو وناحاني الضمير به :: فاستعطفتني على بيضاء الخجل

ولو أنه قال الكلل لتخلص من ذلك وقاربنا لامرئ القيس في جودة المعنى

مشابهة الإبانة والمقاربة

وفاسد مناسبة الإبانة والمقاربة، ومن أجل هذا عيب على كثير قوله في مدح عبد العزيز بن مروان:

فما زالت رقاق تسل ضغني :: وتخرج من مكامنها ضبابي (1)

ويرقيني إليك الرأفة حتى :: أجابت حية تحت التراب

استعار الضباب للأحقاد فأجاد في استعارته (2) ولكنه أخطأ موقعها، ولم يأت برساغ مقارب، لأنه هذا لا يصح أن يقال من شاعر مثل كثير مع أمير مثل عبد العزيز بن مروان، وعندي أنه مثل هذا النقد لا يصح بعد شورة الإسلام بين الناس

ولأجل هذا أيضا تجاب الاستعارات التي يقولها أهل الحضر في مخاطبة الأطلال والدمنة وما إلى هذا مما لا يناسب

(1) ضباب جمع ضب وهو حيوان معروف كالمنى أناسل، ومكامنه أجحاره

(2) ذكر الإبانة أن الضب بفتح الضاد وكسرها يطلقونه على الغيظ والحقد، وساق البيت شاهدا على ذلك، وعليه لا يكون فيه استعارة

حال أهل الحضر، وإنما تنكر على مثل هذا في عصرنا، كما في قول شوقي في مطلع قصيدة له في اجتماع بمسرح الأزبكية:

أنادي الرسم لو ملك الجوابا :: وأجزيه بدمع لو أثابا (1)

وقل لحقه العبرات تجري :: وإن كانت سواء القلب زابا

بسفحه مقبلات الترب عني :: وأدمية التحية والخطابا

نثرت الدمع والدمنة البوالي :: لتنظمني وكواعب السبابا

فإنه الدمنة والأطلال إنما تبكى في البدو، ولا يصح أن تبكى في بلاد لا وجود لها في مصر

ويسلك بعضهم سبيل القدماء، وعصرنا مسالك جديدة في بعضه الاستعارات، ويتأثر بعضهم في هذا بما درسه من الأدب الأجنبي، فكانوا في بعض ذلك بعيدين موفقين، وكانوا في بعض الآخر نائين عن الذوق العربي السليم، وهذه قطعة شعرية عربط بعضه شعراء عصرنا بعض الشعر الفرنسي وفيرها بعضه من تلك الاستعارات، وقد استطاق شاعرها بالجبوبة:

اذكريني لهما الفجر بدا :: فاتحا للشمس قصر الذهب

واذكريني لهما الليل مضى :: راضيا بعد جنود الشهب

وإذا ما صدرك انتج على :: نغم اللذات وقت الطرب

أودعاك الظل إما تجتلى :: لذة الأحلام عند الغرب

(1) أثاب أرجع أي أجاب نداءي

فاسعى معه داخل الغاب صدى .. صارخ فيه بنار يك انكوى

اذكرني إنه عز أصرف القدر .. فاصلا ما بيننا الأبد
يوم لا يبقى الليالي والعمر .. مع رجاء لفؤادي الكميد
واذكري حبنا به قلبي انقطر .. ودواعا ذاب منه كبدي
وإذا الحب على القلب انتصر .. غلب العقد وطول الأمد
وأنا ما عشت يكفيني خبر .. منك والقلب بنار يك اذكري

وجه ورود وبقي وجه آخر فيه الاستعارة ذكره الخفاجي، وهو أن تكون الاستعارة مبنية على استعارة أخرى، كما في قول امرئ القيس:

وليل كموج البحر أرخى سدوله .. علي بأنواع الهموم ليبتلي (1)
فقلت له لما تمطى بصلبه .. وأردف أعجازا وناء بكلكل
ألا أيها الليل الطويل ألا انجلي .. بصبح وما الإصباح منك بأمثل

فإنه لما جعل لليل صلبا وعجزا استعار له اسم الصلب وجعل منه طيا من أجل امتداده، وذكر الكلكل من أجل نهوضه، وكل هذا إنما يحسن بعضه لأجل بعض، فذكر الصلب إنما حسن لأجل العجز، والوسط والتعلي لأجل الصلب، والكلكل لمجموع ذلك

(1) ليبتلي ليختبر

ومن ذلك عنده أيضا قول زهير بن أبي سلمى:

صحا القلب عن سلمى وأقصر باطله .. وعرى أفراس الصبا ورواحله

وقول الشريف الرضي:

والحب داء يضمحل كأنما .. ترغو رواحله بغير لغام

فإنه الاستعارة في بيت زهير مبنية على قولهم - ركب هواه وجرى وميدانه - وهذا أيضا استعارة، فيكون ذلك من الاستعارة المبنية على استعارة أخرى، وما صنعه الشريف الرضي أبعد مما صنعه زهير، لأنه بنى على ذلك أمرا آخر غير قريب، وهو قوله: إنه رواحل الصبا ترغو ولا لغام لها (1)

وذكر ابن الأثير ذلك الوجه على الخفاجي، لأنه الأصل المقيس عليه وجه الاستعارة هو التناسب بين المنقول عنه والمنقول إليه، فالاستعارة إذا كانت مناسبة ثم بني عليها استعارة مناسبة كان كل منهما مناسبا، وقد يكون اجتماع الاستعارات مما يزيده حسنا (2) ويؤيده ورود الاستعارة المبنية على الاستعارة في القرآن الكريم، ومن ذلك قوله تعالى (وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون) فإنه فيه أولا مجاز مرسل في إطلاقه القرية على أهلها، وهو من إطلاق المحل وإرادة الحال

(1) سر الفصاحة ص ١١٥-١١٦ (2) المثل السائر ص ١٤٩

وفيه ثانيا استعارتان إحداهما مبنية على الأخرى، والأولى هي استعارة الذوق للباس، فشبه فيها ما يدرك به أثر الجوع بما يدرك به طعم المر والبشع، والثانية هي استعارة اللباس للجوع والخوف، فشبه فيها ما يعم البدن به أثرهما باللباس الذي يعم بدنه لابسه، والاستعارتان في غاية الحسن، مع بناء بعضهما على بعض

أقسام الاستعارة ومراتبها
باعتبار طرفيها

تنقسم الاستعارة باعتبار طرفيها المستعار منه والمستعار له أولا إلى الاستعارة أربعة أقسام: استعارة محسوس لمحسوس، واستعارة محسوس والمعقول لمعقول، واستعارة معقول لمحسوس، واستعارة معقول لمعقول

وما جرى في التشبيه من الخلاف ومراتبه بهذا الاعتبار يجري نظيره هنا، لأن الاستعارة تتفرع على التشبيه فيجري فيه يجري فيها، فالخلاف في جواز استعارة المعقول للمحسوس قائم هنا مثل الخلاف في جواز تشبيه المحسوس بالمعقول، ولهذا قال فخر الدين الرازي: إن استعارة المعقول للمحسوس غير جائزة إلا على التأويل المذكور في باب التشبيه (١)

وهكذا الخلاف في تقديم الاستعارة في المحسوسات على الاستعارة في المعقولات يقوم هنا كما قام هناك، ورأي الأكثرين على أنه شأن الاستعارة في المعقولات أعلى وأجل، ولهذا قال عبد القاهر في هذا الضرب من الاستعارة: إنه هو الصميم الخالص من الرياء، والمنزلة التي تبلغ عندها الاستعارة غاية شرف، ويتسع لها الكلام شاءت المجال وتفتر وتصر فر، وهي هنا تخلص لطيفة روحانية فلا يبصرها إلا ذوو الأذهان الصافية، والنفوس المستعدة لأن تعي الحكمة (٢)

(١) نهاية الإيجاز ص ٩٨ (٢) أسرار البلاغة ص ٤٩

شبكة الألوكة www.alukah.net

ومنه استعارة المحسوس للمحسوس قوله تعالى (وتركنا بعضهم يومئذ يموج في بعض ونفخ في الصور فجمعناهم جمعا) فالمستعار منه حركة الماء، والمستعار له حركة الإنس والجن أو يأجوج ومأجوج، وكل من المستعار منه والمستعار له في ذلك حسي والاستعارة تصريحية، وكذلك قوله تعالى (قال رب إني وهن العظم مني واشتعل الرأس شيبا ولم أكن بدعائك رب شقيا) فالمستعار منه شواظ النار والمستعار له شيب الرأس، وكل منهما حسي والاستعارة مكنية، ومنها أيضا قول امرئ القيس:

قولا لدودان عبيد العصا :: ما غركم بالأسد الباسل

وليس منه ما ذكره الخطيب[1] منه قوله تعالى (فأخرج لهم عجلا جسدا له خوار فقالوا هذا إلهكم وإله موسى فنسي) لأنه من التشبيه المحذوف الأداة وليس من الاستعارة، وتقدير الكلام فأخرج لهم مثل عجل جسد له خوار، وقوله (جسدا) بدل من عجل

ومنه استعارة المعقول للمعقول قوله تعالى (قالوا يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون) فالمستعار منه الرقاد والمستعار له الموت، وكل منهما عقلي والاستعارة تصريحية، ومنها قول الشاعر:

وإذا تباع كريمة أو تشترى :: فسواك بائعها وأنت المشتري

---

(1) الإيضاح ج٤ ص ١٠٨ من بغية الإيضاح

فالمستعار منه البيع والاشتراء والمستعار له السلب والحصول وكل ذلك عقلي والاستعارة تصريحية

ومنه استعارة المحسوس للمعقول قوله تعالى (فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين) فالمستعار منه صدع الزجاجة والمستعار له إظهار الدين والأول حسي والثاني عقلي والاستعارة تصريحية، ومنها قول أبي تمام:

ويصعد حتى نظنه الجهول :: بأن له حاجة في السماء

ومنه استعارة المعقول للمحسوس قوله تعالى (إنا لما طغى الماء حملناكم في الجارية) فالمستعار منه الكثرة والمستعار له كثرة الماء، والأول عقلي والثاني حسي والاستعارة تصريحية، ومنها قول المتنبي:

وقد متُّ أنسى بل موتة :: ولا يشتهي الموت من ذاقه

فالمستعار منه الموت وهو عقلي، والمستعار له ما لقيه من الشدة وهو حسي، والاستعارة تصريحية

واستعارة المحسوس للمحسوس قد تكون في وجه حسي فتكون من الاستعارة أقعد في الحسية، وقد تكون في وجه عقلي فتكون قريبة من الاستعارة العقلية، وقد تكون بعضه حسيا وبعضه عقليا، والأمثلة السابقة في استعارة المحسوس للمحسوس ما وجه الاستعارة فيه حسي ما عدا قول امرئ القيس:

قولا لدودان عبيد العصا :: ما غركم بالأسد الباسل

فإن الوجه فيه الشجاعة وهي عقلية، ومنها قوله تعالى (وآية

شارك
الألوكة
www.alukah.net

لهم الليل نسلخ منه النهار فإذا هم مظلمون) فالمستعار منه كشط الجلد وإزالته عن الشاة ونحوها، والمستعار له إزالة الضوء عن مكانه الليل وملقى ظله، والجامع لهما ما يعقل من ترتب أمر على آخر، وقيل المستعار له ذلك ظهور النهار من ظلمة الليل، وهذا قول غير سديد، لأنه لو كان المراد ذلك لكان المناسب أن يقول فإذا هم يبصرون ولم يقل (فإذا هم مظلمون)

ومنه استعارة المحسوس للمحسوس بوجه بعضه حسي وبعضه عقلي قول بعضهم يرثي ولده:

وهلال أيام مضى لم يستدر :: بدرا ولم يمهل لوقت سرار
عجل الكسوف عليه قبل أوانه :: فمحاه قبل مظنة الإبدار
واستل منه أراءه ولداته :: كالمقلة استلت من الأشفار

شبهه بالهلال وحسنه الطلعة وبداهة البداية، والأول حسي والثاني عقلي

الاستعارة وتنقسم الاستعارة بذلك الاعتبار ثانيا إلى قسمين: وفاقية وعنادية، والوفاقية هي التي يمكنه اجتماع طرفيها، والعنادية هي التي لا يمكنه اجتماع طرفيها، واجتمعت الاستعارتان في قوله تعالى (أو من كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها كذلك زين للكافرين ما كانوا يعملون) فقد أراد بقوله (ميتا) ضالا، وبقوله (أحييناه) هديناه، واستعارة الحياة

للهداية من الاستعارة الوفاقية لجواز اجتماعهما، واستعارة الموت للضلال من الاستعارة العنادية، لأن الميت لا يوصف بالضلال فلا يمكنه اجتماع الموت والضلال معا، ومنه الاستعارة الوفاقية أيضا قول حافظ إبراهيم على لسان حال اللغة العربية:

إلى معشر الكتاب والجمع حافل :: بسطت رجائي بعد بسط شكايتي
فيا حسرة بعث الميت والبلى :: وتنبيت ذلك الرموس رفاتي
وإما ممات لا قيامة بعده :: ممات لعمري لم يقس بمماتي

فالحياة فيه مستعارة للاصلاح وظهورها، والممات مستعار لفسادها وضياعها لا قدر الله تعالى

ولا شك أن الاستعارة العنادية أبلغ من الاستعارة الوفاقية، لأن ادعاء المبالغة فيها أقوى وأظهر، ومن ذلك ما كان وضع التشبيه فيه على ترك الاعتداد بالصفة وإن كانت موجودة لكنها ما هو مشترك والمقصود منها، كاستعارة اسم المعدوم للموجود إذا لم تحصل منه فائدة من الفوائد المطلوبة من مثله، فيكون مستعارا للمعدوم من ذلك، ومنها قول أبي تمام:

أنبتت عتبة يعوي كي أشائمه :: ألله ألبرأني استأسد الأسد
ما كنت أحسب أن الدهر يمهلني :: حتى أرى أحدا يرجوه لا أحد

وقد يستعار من ذلك اسم الموجود للمعدوم إذا كانت الآثار المطلوبة من مثله موجودة حال عدمه، ويستعار اسم الشيء للحي الجاهل

لأنه فقد فائدة الحياة وهي صفة العلم، وإذا كانه الضد كانه فوذلك قابلية للشدة والضعف فإنه استعارة اسم الأشد للأضعف لكونه أولى منه استعارة للضعيف، لأنه بعد الأضعف منه الأشد أكثر منه بعد الضعيف منه، فتكون به المبالغة فيه أكثر وأظهر، فكل منه كانه أكثر علما يكون أولى بأنه يستعار له اسم الحي، وكل منه كانه أكثر جهلا يكون أولى بأنه يستعار له اسم الجهل، وهكذا كل ما كانه منه هذا القبيل

الضد يتوهم الاستعارة العنادية ما استعمل في ضد معناه أو نقيضه بتنزيل التضاد أو التناقض منزلة التناسب بوساطة تهكم أو تملح على ما سبق في التشبيه، ومنه ذلك قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا إن كثيرا من الأحبار والرهبان ليأكلون أموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم) استعار فيه التبشير للإنذار تهكما بهم

ومنه ذلك قول القطامي:

لم تلقه قومها هُمُ شرٌّ لإخوتهم ... منا عشية يجري بالدم الوادي

نقريهم لهذميات نقدّ بها ... ما كانه خاط عليهم كل زرّاد

استعار فيه القِرى للضرب على سبيل التهكم، والقِرى في أصل وضعه الضيف

وكذلك قول بشار:

إذا الملك الجبار صعّر خدّه ... أتينا إليه بالسيوف نعاتبه

استعار فيه العتاب للعقاب على سبيل التهكم

أقسام الاستعارة ومراتبها

باعتبار جامعها

تنقسم الاستعارة باعتبار جامعها أولا إلى قسمين: أحدهما استعارة مفهوم طرفيها أو هي الاستعارة التي يرى معنى الكلمة المستعارة فيها موجودا في المستعار له منه حيث عموم جنسه على الحقيقة، ولكن يكون ذلك الجنس خصائص ومراتب في الفضيلة والنقص والقوة والضعف، فيستعار ذلك لفظ الأفضل لما هو دونه فيه، وهذا هو أدنى مراتب الاستعارة والفصاحة، ومنها استعارة الطيران للعدو في قول امرأة من بني الحارث ترثي قتيلا:

فدى لك ناغاروه ملحما ... غير زميل ولا نكس ولا كهل (١)

لو يشاطاربه ذو ميعة ... لاحقه الآطال نهد ذو خصل (٢)

غير أن الباس منه شيمة ... وصروف الدهر يجري بالأجل

فإنه الطيران هو العدو وكلاهما من جنس الحركة، ومنها قول البحتري:

يتراكبون على الأسنة والوغى ... كالفرفاصة على نجوم الغيهب

استعار الفيصة لانبساط الفرو وكلاهما من جنس الحركة أيضا

وثانيهما استعارة لا يدخل جامعها في مفهوم طرفيها بل يكون خارجا عنهما، ومنها قول شوقي:

يا مصر أسبال الغريب رعيتك ... ومشت إليك من السحوب أسودا

(١) ناغاروه: لاعبوه، والملحم المأكول اللحم، والزميل الجبان، والنكس الضعيف الخامل والكهل من يتكل على غيره (٢) الميعة النشاط، والآطال جمع الطل وهو الصدر والنهد الثدي، والخصل لفائف الشعر

شبكة الألوكة www.alukah.net

قاضي السياسة نالهم بعقابه :: خيبة الحكمة في الشباب عنيدا

استعار الاشبال للشباب بصر بجامع الشجاعة، وهي غير داخلة في مفهوم طرفي الاستعارة

وتنقسم الاستعارة بذلك الاعتبار ثانيا إلى قسمين: استعارة قريبة والبعيدة

القريبة

يظهر الجامع فيها لأول النظر، واستعارة بعيدة غريبة لا يظهر الجامع فيها لأول النظر، ولا يظفر به الا من ارتفع عن طبقة العامة كما في قول ابن المعتز:

حتى إذا عرف الصيد انصارا :: وأذن الصبح لنا في الابصار (١)

وشأن الاستعارة في ذلك شأن التشبيه فيما سبق فلا نعيده هنا، وإذا كانت الاستعارة البعيدة أبلغ من الاستعارة القريبة فلكل منهما مقام الذي يطلب فيه دون غيره، وقد تتضافر القريبة والبعيدة في حسنها، كما في قول سوقي في استعارة الدلالة للنظر:

دقات قلب المرء قائلة له :: إن الحياة دقائق وثوان

والاستعارة البعيدة قد تكون غريبة في نفس الشبه، كما في قول يزيد بن مسلمة بن عبد الملك يصف فرسا له بأنه مؤدب:

وإذا احتبى قربوسه بعنانه :: علك التسلم في الانصراف الزائر

شبه هيئة وقوع العنان في موقعه من قربوس السرج معتمدا الإحابي في قم الفرس بهيئة وقوع الثوب في موقعه من ألية المحتبي معتمدا الإحابي ظهرا، ثم استعار الاحتباء لوقوع العنان في قربوس السرج فجاءت الاستعارة غريبة لغرابة وجه الشبه

وقد تحصل غرابة بتصرف في الاستعارة القريبة، كما في قول ابن المعتز:

(١) انصار بمعنى انقضاض والجمع أوصال، يصف بازي الصيد، والشاهد في أنه جعل إمكان الابصار عند ظهور الصبح إذنا منه على سبيل الاستعارة

سألت علية سعاب التي حمدونا :: أنصارة بوجوه كالدنانير

فهذه استعارة معروفة لا غرابة فيها، ولكنه تصرف فيها فجعل الغريزة بأنه أسند السيل إلى السعابة دون الأنصار أو وجوههن، ثم عدى الفعل الصحيح المدوح بعلى فأفاد أن السعاب امتلأت من الرجال وغصت بهم من كل جانب وناحية

ومن الاستعارة القضيب للقد والدعص للرداف في قول الآخر:

فرعاء إن نهضت لحاجتها :: عجل القضيب وأبطأ الدعص

فصلت الفرعاء في وصف القضيب بالعجلة والدعص بالبطء، ولولا هذا لكانت استعارة قريبة

وقد تحصل غرابة بالجمع بين عدة استعارات، كما في قول أبي الدمشقي:

فاطرت لؤلؤا من نرجس وسقت :: ورد او عضت على العناب بالبرد

وكما سبق في قول امرئ القيس في وصف الليل:

فقلت له لما تمطى بصلبه :: وأردف أعجازا وناء بكلكل

وهذا هو الذي سبق أن ابن سنان الخفاجي جعله من الاستعارة على الاستعارة وبعده من العيوب فيرد، ولم يوافقه ابن الأثير عليه

وقد تكون الاستعارة مركبة الوجه والطرفين فتسمى حينئذ الاستعارة التمثيلية

استعارة تمثيلية، وهي اللفظ المركب المستعمل فيما شبه بمعناه الأصلي تشبيه التمثيل، ومنزلة الاستعارة التمثيلية من الاستعارة كمنزلة تشبيه التمثيل من التشبيه، ومن ذلك ما كتب به الوليد ابن يزيد إلى مروان بن محمد حين بلغه أنه متوقف في البيعة - أما بعد

فإن أراك تقدم رجلا وتؤخر أخرى فإذا أتاك كتابي هذا فاعتمد على أيهما شئت والسلام. فشبه صورة تردده في المبايعة بصورة تردده قام ليذهب فأمر فتارة يريد الذهاب فيقدم رجلا، وتارة لا يريد فيؤخر أخرى وكذلك قول السماخ في عراية الأوسي:

إذا راية رفعت لمجد .. تلقاها عرابة باليمين

فالشبه فيه مأخوذ من مجموع التلقي باليمين

وكذلك قوله تعالى (وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون) فالمعنى في ذلك على التمثيل وأنه مثل الأرض في تصرفها تحت أمر الله تعالى وقدرته مثل الشيء المقبوض في قبضة الآخذ له مناوأ الجامع يده عليه، وكذلك الأمر في طي السماوات بيمينه وضم الكل بالنحو هذا النحو من الآيات الموهمة للتشبيه في حق الله تعالى

ويدخل في الاستعارة التمثيلية كل الأمثال السائرة، لأنها تشبه فيها صورة مضروب لها بصورة تورد لها تستعار له لفظ لها، كما في قول المتنبي:

من يهن يسهل الهوان عليه .. ما لجرح بميت إيلام

فإنه يضرب لكل مرهب لا يتأثر بالإهانة والإيذاء، ويشبه فيه حال من لا يتأثر بذلك بحال الميت الذي يجرح فلا يتأثر ولا يتألم. ومن ذلك قولهم أخشن من ضب - فإنه يضرب لكل من يظلم جيرانه، وتشبه فيه هيئة من يظلم جيرانه بهيئة رجل اشترى ضبا أخرس فجاء يحتشفا وظن أنه الكمال

أقسام الاستعارة ومراتبها

باعتبار لوازمها

لوازم الاستعارة إما أن تكون من ملائمات المستعار له، كما في قولك - رأيت أسدا يجادل الأبطال بنصله، ويشك الفرسان برمحه - وإما أن تكون من ملائمات المستعار منه، كما في قولك - رأيت أسدا وافر الأظفار، منكر الزئير - تريد رجلا شجاعا

وتنقسم الاستعارة باعتبار هذه اللوازم إلى ثلاثة أقسام: أولها الاستعارة المطلقة، وهي التي لم تقترن بما يلائم المستعار منه أو المستعار له، كما في قول أبي تمام:

فتى كلما فاضت عيونٌ قبيلةٍ .. دما ضحكت عنه الأحاديث والذكر

شبه نزول الدمع سقوط العين بفيضان النهر ثم استعار لفظ الثاني للأول على طريقة الاستعارة التصريحية، وشبه المسرة والابتهاج بالضحك ثم استعار لفظ الثاني للأول على طريقة الاستعارة التصريحية أيضا، وليس في هذا ما يلائم المستعار منه أو المستعار له

وثانيها الاستعارة المجردة، وهي التي قرنت بما يلائم المستعار له، ولا بد أن يكون هذا دالا على ترشيح في الاستعارة التصريحية، لأن قرينة المجردة التصريحية ما يلائم المستعار له، ومنها قول كثير عزة يمدح عمر بن عبد العزيز:

غمر الرداء إذا تبسم ضاحكا .. غلقت لضحكته رقاب المال

استعار الرداء للمعروف لأنه يصونه عرضه كما يصونه الرداء لابسه، ثم

www.alukah.net

أضافه إلى الفرع معنى الكثير على سبيل التجريد، لأنه يلائم المعروف للإراد،
وقرينة الاستعارة ونسبة التبسم والضحك إليه عند العطاء
ومنها قوله تعالى (وضرب الله مثلاً قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها
رزقها رغداً من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما
كانوا يصنعون) فقال أذاقها ولم يقل كساها لأنه المراد بالإذاقة
إصابتهم بما استعير اللباس له مما يغشى الإنسان ويلابسه من بعض
الحوادث كالعذاب ونحوه، وإنما عدل إلى ذلك ولم يقل فكساها اللباس
الجوع والخوف، لأنه الإدراك بالذوق يستلزم الإدراك باللمس من
غير عكس، فكانت الإذاقة استعارة بشدة الإصابة بخلاف الكسوة،
وإنما لم يقل فأذاقها الله طعم الجوع والخوف لأنه الطعم وإنه لا يتم الإذاقة
مقوية لما يفيده لفظ اللباس من بيان أنه الجوع والخوف عمّ أثرهما
جميع البدن كما يعم اللباس لابسه، وهكذا تأتي بلاغة القرآن الكريم
فوق الظنون، وهكذا بدقة حتى تحار فيها العقول

الاستعارة والتخييلية الاستعارة المرشحة، وهي التي قرنت بما يلائم المستعار منه، المرشحة
ولا بد أن يكون هذا إذا والاستعارة المكنية على قسمين لأنه قرينة
المكنية ما يلائم المستعار منه، ومنها قول أبي العتاهية:

أنت الخلافة منقادة :: إليه تجرر أذيالها
فلم تك تصلح إلا له :: ولم يك يصلح إلا لها

ففي قوله أنت الخلافة استعارة مكنية، ونسبة الإنسان إليها

قرينة، ونسبة الانقياد تجريد لها
وقد يجمع التجريد والترشيح واستعارة واحدة فتكون الاستعارة في حكم
المطلقة، كما في قول كثير عزة:

رمتني بسهم بيضة الكحل لم يضر :: ظواهر جلدي وهو للقلب جارح

استعار السهم للنظر بجامع التأثير في كل منهما، وذكر الريش ترشيح للاستعارة،
وذكر الكحل وما بعده تجريد لها

والاستعارة المرشحة أبلغ من الاستعارة المطلقة وما في حكمها، ومن حكمها أو من المؤانسة
الاستعارة المجردة، لأنه الترشيح مبناه على تناسي الاستعارة وتخييل
المتكلم للسامع أنه الأمر فيما يقول على سبيل الحقيقة، فتكون المبالغة
والترشيح أتم منه في غيره، ومن ذلك التخييل قول ابن الرومي ومدح
أبي سهل النوبختي:

يا آل نوبخت لا عدمتكم :: ولا تبدلت بعدكم بدلا
إنه صح علم النجوم كلها لكم :: حقا إذا ما سواكم انتحلا
كم عالم فيكم وليس بأنه :: قاس ولكنه بأنه رقى فعلا
أعلاكم في السماء مجدكم :: فلستم تجهلونه ما جهلا
تنافسهم البدر بالسؤال عنه :: أمر إلى أنه بلغتم زحلا

والاستعارة المطلقة وما في حكمها أبلغ من الاستعارة المجردة، لأنه
التجريد يذكر بالتشبيه، وهذا يضعف دعوى المبالغة والادعاء
في الاستعارة

وإذا كان الترشيح أبلغ من التجريد فإنه هذا لا يمنع إيثار التجريد عليه عند اقتضاء المقام له، كما سبق في قوله تعالى (فأذاقها الله لباس الجوع والخوف) فإن الإذاقة فيه تجريد لا ترشيح، ومع هذا كانت أولى في هذا المقام لأنها أبلغ من أن يقال فكساها الله لباس الجوع والخوف مع أنه ترشيح لا تجريد، ووجه ذلك أن الإذاقة فيها زائد تفيد كما سبق معنى أبلغ مما تفيده الكسوة، ولا يقوم ما يفيده الترشيح بالكسوة من المبالغة والاستعارة مقام ذلك المعنى الذي تفيده الإذاقة

موازنات عامة في الاستعارة

قال المتنبي:

وقد نبت الخيل العتاق عيونها ... إلى وقت تبديل الركاب من النعل

بنيت عليه هذه الاستعارة، لأنه الخيل لا عيون في الحقيقة، وخبر الاستعارة لا يفهم ولا يعلم في أول وهلة أنه مستعار ولهذا ترجم على قول أبي تمام:

ساس الأمور سياسة ابن تجارب ... رفقت به الملك وفوضه

ذكاء الملك لا عين له في الحقيقة، وستأتي معنى لهذه الموازنة بين المتنبي وأبي تمام، لأن بيت المتنبي ليست فيه استعارة في عيون الخيل، وبيت أبي تمام فيه استعارة في عين الملك، فلا موضع للموازنة بينهما

وقال ابن المعتز:

أثمرت أغصان راحته ... بجناه الحسن عنابا

فأجاد في استعارة الأغصان للأصابع واستعارة العناب لأطراف المخضوبة، وقيل إنني هذا أحسن من قول الوأواء الدمشقي:

فأمطرت لؤلؤا من نرجس ورقا ... وعضت على العناب بالبرد (١)

لأنه من كأنه الاستعارة أنك كلما زدت في إدارتك للتشبيه اضطربت وازداد حسنا، حتى إنك تراها أغرب ما تكون إذا تم الكلام وقد ألقيت إليها إليه أردت أن تفصح فيه بالتشبيه خرجت إلى شيء تعافه النفس، وتلفظه السمع، ولو أنك هملت نفسك على أن تظهر التشبيه في البيت الأول لاحتجت إلى أن تقول - أثمرت أصابع يده التي هي كالأغصان لطالب الحسن شبيه العناب من أطراف المخضوبة - وهذا ما لا تخفى غثاثته. أما البيت الثاني فإنه إظهار التشبيه

(١) ذكر في تزيين الأسواق ص٢٢٨ - أن البيت ليزيد بن معاوية وضعف نسبته إلى غيره

فيه لا يقبح هذا القبح المفرط، لأنك لو قلت - وعصفت على أطراف أصابع
الغراب بتفرط البرد - لكان معناه كالذي يمثله وإنه كان مرذولا. ولست
أدري فرقا بينه أنه يكون هذا مرذولا وأنه يكون في ذاك غثاثة، لأن كلا
منهما بابه جدا

وقال أبو نصر به ثابتة:

حتى إذا حمر الأباطح والربا: نظرت إليك بأعين النوار

فنظر أعين النوار منه أشبه الاستعارات وأليقها، لأنه النوار يشبه
العيون، وإذا كان مقابلا لها جاز فيه ويمر به كأنه ناظر إليه،
وأيه منه هذا قول أبي تمام:

قرت بقربانه عيون الدين واشترت: بالأشتريه عيون الشرك فاضطلما

فقرة عين الدين واشتعار عيون الشرك منه أقبح الاستعارات كما
سبق، لعدم الوجه الذي لأجله جعل للدين وللشرك عيونا

وكذلك قول ذي الرمة:

سقاه الكرى كأس التنائين وأنه: لديه الكرى من آخر الليل ساجد

فقوله - سقاه الكرى - استعارة جيدة، وقوله - لديه الكرى - استعارة
بعيدة

وقال مسلم بن الوليد الخذلي أو غيره:

تحاشيتم قوما لا تلقى جوابهم: وقد أخذت منه أنف ليتك اليد

أي قبضت بيدك على مقدم ليتك كما يفعل النادم أو المهموم
وأنف كل شيء مقدمه، وأنوف القوم
سادتهم، والأنف في هذا البيت هيهنا الموقع
كما ترى، وقد وقع في غيره أحسن موقع، وإلى
الشاعر:

شاعر:

إذا شمتم أنف الضيف أو جبهته: فراس الأولى واعتاده الكرائم (١)

يقولون: أنف الريح وأنف الزمان، ورعينا أنف الربيع أي أوله. قال امرؤ القيس:

قد غدا يحملني في أنفه: لاحق الإطلية محبول محمر (٢)

وقال أعرابي يصف البرد:

إذا شئتم أنف الليل أو مصدوره: فشأ لابتام العاشرية شاعف

وهذه الاستعارات الفائقة ما جاءت في قول الحجاج حين قدم العراق: إنه أمير
المؤمنين عبد الملك به مروان نثر كنانته وعجم عيدانها عودا عودا فوجدني أمرها
عودا، وأصلبها تكسيرا. فقوله - نثر كنانته وعجم عيدانها عودا عودا - يريد
به أنه فرض رجاله واحدا واحدا، واختبرهم رجلا رجلا، فوجدني
أشدهم وأمضاهم. وهذا من الاستعارات الفائقة
وروي عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه وكرم
وجهه ما هو أرفع من هذا في الاستعارة وألطف منه، كقوله يخاطب
معاوية بن أبي سفيان:

«فكيف أنت إذا انكشفت عنك جلابيب ما أنت فيه من دنيا قد
تهجنت بزينتها، وخدعت بلذتها، دعتك فأجبتها، وقادتك
فاتبعتها، وأمرتك فأطعتها، وإنه يوشك أن يقفك واقف
على ما لا ينجيك منه مفر، فأقيس عند هذا الأمر، وخذ
أهبة الحساب، وشمر لما قد نزل بك، فإنك مشرف
قد أخذ الشيطان منك مأخذه، وبلغ منك أمله، وجرى

---

(١) البيت لذي الرمة، وروي عجز البيت: مراس الأولى واعتاده الكرائم، والأولى
جمع أسية وهو الجرح يتعمد به الضيف منه الطعام المدحوض فيه لكل طارقة
(٢) الإطلاء ما سمي بطل وهو الحاضرة، والمحبول الشديد المدح، والمحمر الكثير
فتل اللحم

www.alukah.net

هناك مجرى الروح منه الدم »

ولهذا نظائر كثيرة منه عيونه كلامه رضي الله عنه، فليطلب إليه
أرادها منه كتاب نهج البلاغة

المجاز العقلي

ويسمى أيضا المجاز الحكمي والمجاز في الإسناد، وعرّفه عبد القاهر بأنه تعريف المجاز
كل جملة أخرجت الحكم المفاد بها عن موضوعه والعقل لضرب من التأول (١) العقلي

وعرفه الخطيب القزويني بأنه إسناد الفعل أو معناه إلى ملابس له غير ما هو
له بتأول (٢) فهو عند الخطيب خاص بالإسناد الفعل وما في معناه من إسناد
اسم الفاعل والمفعول ونحوهما، وعند عبد القاهر يعم كل إسناد، فيدخل فيه
إسناد الفعل إلى الفاعل وهو الأعم الأغلب، وإسناده إلى المفعول، مثل قوله تعالى
(ولا تطيعوا أمر المسرفين) والإسناد الإضافي، مثل قوله تعالى (بل مكر الليل
والنهار) وكذلك الإسناد الاسمي، ولهذا جعل منه قول الخنساء:

ترتع ما رتعت حتى إذا ادكرت ∴ فإنما هي إقبال وإدبار (٣)

قال: وذلك أنك لم ترد بالإقبال والإدبار غير معناهما فتكون قد تجوزت
في نفس الكلمة، وإنما تجوزت في أنه جعلها للكثرة ما تقبل وتدبر ولغلبة
ذلك عليها واتصاله بها وأنه لم يكد لها حال غيرهما كأنها قد تجسمت من
الإقبال والإدبار، وإنما كان يكون المجاز في نفس الكلمة لو أنها كانت
قد استعارت الإقبال والإدبار لمعنى غير معناهما الذي وضعا له في اللغة،
ومعلوم أنه ليس الاستعارة مما أراده في شيء (٤)

ثم قال: واعلم أنه ليس بالوجه أن يعد هذا على الإطلاق مقدما حذف
منه المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه، مثل قوله عز وجل (واسأل القرية)
ومثل قول النابغة الجعدي:

وكيف تواصل منها صحبت ∴ خلالة كأبي مرحب (٥)

(١) أسرار البلاغة ص ٢١٢ (٢) الإيضاح لجلال الدين القزويني ص ٥٤ طبعة الإرشاد ١٩٦١ وورد رواية
ترتع ما غفلت، والضمير للناقة في البيت قبله (٤) دلائل الإعجاز ص ٢٢٢
(٥) الخلالة بتثليث الخاء الصداقة، أي كخلالة أبي مرحب

www.alukah.net

وقول الأعرابي:

حَسِبَتْ بُغَامَ رَاحِلَتِي عَنَاقًا .. وَمَا هِيَ وَيْبَ غَيْرِكِ بِالْعَنَاقِ (١)

وإنما لم يذكروه حيث يذكرونه حذف المضاف، ويقولون إنه في تقدير - فإنما هي ذات إقبال وإدبار - ذاك لأنه المضاف المحذوف منه نحو الآية في سبيل ما يحذف منه اللفظ ويراد به المعنى، لمثل أنه يحذف خبر المبتدأ أو المبتدأ إذا دل الدليل عليه، إلى سائر ما إذا حذف فإنه في حكم المنطوق به، وليس الأمر كذلك في بيت الخنساء، لأنا إذا جعلنا المعنى فيه الآن المعنى إذا نحن قلنا - فإنما هي ذات إقبال وإدبار - أفسدنا الشعر على أنفسنا، وخرجنا إلى شيء نفسول، وإلى كلام عامي مرذول، فالوجه أنه يكون تقدير المضاف في هذا على معنى أنه لو كان الكلام قد جرى به على ظاهره ولم يقصد إلى الذي ذكرنا من المبالغة لكان حقه أن يجاء بلفظ الذات فيقال: فإنما هي ذات إقبال وإدبار

والتعريف فيه متفقان على اعتبار التأول والمجاز العقلي، ومعناه أنه يكون بقرينة صارفة عن إرادة ظاهره، لأنه التأويل في اصطلاحهم يراد به صرف اللفظ عن معناه الظاهر إلى معنى آخر غير ظاهر، فإذا قامت قرينة على إرادة الظاهر من الإسناد كان ذلك حقيقة عقلية لا مجازا عقليا، وهنا كما يجيء في التنزيل من الحكاية عن الكفار، نحو قوله تعالى حكاية عنهم (وما يهلكنا إلا الدهر) فهذا ونحوه من حيث لم يظلم به قائله على أنه متأول بل أطلقه بحيث إطلاقه من يضع الصفة في موضعها لا يوصف بالمجاز، ولكنه يقال عند قائله إنه حقيقة، وهو كذب وباطل، إلا أنه قائله جاهل مكابر الكذب والبطلان

(١) الظباء للأنثى، والعناق للأنثى، أي حسبت بغام صوت عناقه

فيه، أو جاحد وباهت

ويمتاز تعريف الخطيب على تعريف عبد القاهر بإشارته إلى اعتبار العلاقة في التعريف، لأنه المجاز العقلي لابد فيه من اعتبار العلاقة مع القرينة كالمجاز اللغوي، وأشار إلى ذلك بقوله - إلى ملابس له - فليس كل شيء يصلح للتجوز بالإسناد إليه على سبيل المجاز العقلي، بل لابد في هذا من علاقة وملابسة تصحح ذلك الإسناد، وتجعله مقبولا على طريقة التجوز

وتتنوع هذه الملابسة وتصحح إسناد الفعل وما في معناه إلى غير ما هو له علاقته إلى أنواع:

فمنها إسناد ما هو مبني للفاعل إلى المفعول للملابسة له بوقوعه عليه، كقوله تعالى (فأما من أوتي كتابه بيمينه فيقول هاؤم اقرؤوا كتابيه، إني ظننت أني ملاق حسابيه، فهو في عيشة راضية) فالعيشة في الحقيقة مرضية لا راضية ولكن لما جعلت في الآية راضية مبالغة في إثبات الرضا لصاحبها، ومن ذلك قول الحطيئة:

دع المكارم لا ترحل لبغيتها .. واقعد فإنك أنت الطاعم الكاسي

أي المطعوم المكسو

ومنها إسناد ما هو مبني للمفعول إلى الفاعل للملابسة له بوقوعه منه، كقوله تعالى (جنات عدن التي وعد الرحمن عباده بالغيب إنه كان وعده مأتيا) أي آتيا، قال الزمخشري: والوجه أن الوعد هو

الجنة وهو أنورنا، أو هو مه قولك أتى إليه إحسانا، أى أداه وعده مفعولا منجزا. ومنه قوله تعالى (وإذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجابا مستورا) أى ساترا، قال الزمخشري: وقيل هو حجاب لا يرى فهو مستور، ويجوز أن يراد أنه حجاب مه دونه حجاب أو حجب كذلك مستور بغيره، أو حجاب يستتر أنه يبصر، فكيف ببصر المحتجب به

ومنه إسناده إلى مصدره، كما في قول أبي فراس:

سيذكرني قومي إذا جد جدهم :: وفي الليلة الظلماء يفتقد البدر

أسند - جد - إلى مصدره على سبيل المبالغة

ومنه إسناده إلى زمانه، كما في قول حافظ إبراهيم في يوم استقلال مصر:

أشرقه فدتك نفوس الورى :: وأبطه لثمتك عمه رضاحي

بوركت يا يوم الخلاص ولا ونت :: عنك السعود بغدوة ورواح

أسند - أشرق وأبط - إلى هذا اليوم على سبيل المبالغة، والإسناد الحقيقة إلى شمسه، لأنها هي التي تشرقه لا يومه

ومنه إسناده إلى مكانه، كما في قول الشاعر:

ملكنا فكان العفو منا سجية :: فلما ملكتم سال بالدم أبطح

أسند - سال - إلى أبطح، وإنما يسيل الدم فيه لا منه

ومنه إسناده إلى سببه، كما في قول محمود سامي البارودي:

محا البيبه ما أبقت عيونك في :: فشيبت ولم أقصد للبانة مه سقم

أسند - محا - إلى البيبه، لأنه سبب ما حل به مه السقام الذي محاه

واقتصر الخطيب على هذه العلاقات في المجاز العقلي، وذهب السبكي إلى أنه جميع العلاقات المذكورة في المجاز اللغوي ينبغي أنها تأتي في المجاز الإسنادي[1] ولكنه لم يبين كيف تأتي هذه العلاقات هناك، ولعل يحكم أنه يكون منها علاقة الكلية، كما في قول الشموءل:

تسيل على حد الظبات نفوسنا :: وليست على غير الظبات تسيل

وكما في قوله تعالى (يجعلون أصابعهم في آذانهم من الصواعق) فيجيء كونه لفظ النفوس في البيت ولفظ الأصابع في الآية على حقيقته، وكونه المجاز في الإسناد الجراحة، وكونه علاقته في ذلك هي الكلية؟ والذي أراه أنه لا داعي إلى تكلف المجاز العقلي حتى أمكنه المجاز اللغوي، كما يؤخذ مما أتى عنه عبد القاهر في إثبات المجاز العقلي، فيكون الزيادة النفوس الدالة على الأصابع الشامل على سبيل المجاز المرسل

وينقسم الأفعال مه حيث نسبتها إلى فاعلها إلى قسمين: أفعال استأثر الله تعالى برسمها الخلقة والرزقة، وأفعال يصح نسبتها إلى غيره، مثل القيام والقعود والأفعال الأولى لا يصح إسنادها إلا إلى الله تعالى، أما الأفعال الثانية فيصح إسنادها إلى غيره مه مخلوقاته، لما لها فيه مه كسب ونحوه، والإسناد الحقيقي في ذلك ثلاثة أقسام: أولها ما يراد وقوعه مه فاعله حقيقة بمعنى التأثير، وذلك يختص بالله تعالى، مثل خلقه الله، ورزقه الله، وثانيها ما يراد وقوعه كسبا، مثل قام زيد، وقعد

الأفعال الحقيقة والمجازية

(١) عروس الأفراح ص ٤١ حاشية شروح التلخيص

الألوكة www.alukah.net

عمرو، وكالزرع ما يراد به مجرد الاتصاف، مثل مرض زيد، وبرد الماء، ونحو ذلك مما لا كسب لفاعله فيه

فإذا لا سند إسناد الأفعال إلى غير ما هي له بطريق من تلك الطرق الثلاثة فهو مجاز لا حقيقة

الخلاف وأدلته — وذهب عبد القاهر إلى أنه ليس بواجب في هذا النوع من المجاز أن يكون للفعل فاعل في التقدير إذا أنت أسندت الفعل إليه عُدّت به إلى الحقيقة، مثل أنك تقول في (ربحت تجارتهم) ربحوا في تجارتهم، فإنه ذلك لا يتأتى في كل شيء، ألا ترى أنه لا يمكنك أن تثبت للفعل في قولك - أقدمني بلدك حقّ لي على إنسانه - فاعلا سوى الحق، وكذلك لا تستطيع في قول ابن الوَرْد:

وصيّرني هواكِ وبي ∴ لحيني يُضرَبُ المثلُ

وفي قول أبي نُوَاس:

بزيدكَ وجهه حُسْنًا ∴ إذا ما زِدْتَه نَظَرا

أن تزعم أنّ الصيّر في فاعلا قد نُقل عنه الفعل فجعل للهوى، وأن ليزيد في قوله - يزيدك وجهه - فاعلا غير الوجه (١)

وخالفه في هذا فخر الدين الرازي، لأنه كل فعل لا بدّ له من فاعل، فإذا كان ذلك الفاعل هو ما أسند إليه الفعل فلا مجاز، وإلا فيمكنه تقدير في الكلام، والإسناد في قولك - أقدمني بلدك حقّ لي - حقيقة لا مجاز (٢) لأنه علم بأن له في تلك البلدة حقا هو الحامل له على ذلك الفعل، فهو

(١) دلائل الإعجاز ص ٢٩٩ (٢) رده عليه السكاكي بأنه الفعل لا يقبل الدعي فاعلا، وإنما يقبل نحو كان للفاعل، ثم اختار أنه الأصل - أقدمني نفسي لأجل هذا الحق - فيكون مجازا له حقيقة

الذي دعا إليه على الحقيقة، اللهم إلا أنه يقال إنه الداعي هو العلم بذلك الحق لا نفسه، فيكون مجازا من هذا الوجه، ولكنه يكون له حقيقة لا كما يدّعي عبد القاهر، وكذلك المجاز في قوله - يزيدك وجهه - لأنه الزيادة من الحسن لا فاعل حقيقي وهو الله تعالى، ومثل ذلك قوله - وصيّرني هواك - ونحوه من الأمثلة (١)

وهذا كما ترى خلاف لا طائل تحته، وقيل إنه عبد القاهر لا يريد ما فهمه فخر الدين الرازي من كلامه، وهو أنه هنا أفعالا لا يتصف بها شيء على وجه الحقيقة، ولا يمكنه وصفه موصوف لا أصلا، وإنما يريد أن هذه الأفعال لا يقصد إلى فاعل الاستعمال العرفي فاعل حقيقي، وإنه يمكنه تقديره على نحو ما قدّره الفخر الرازي (٢)

(١) نهاية الإيجاز ص ٥٦ (٢) مواهب الفتاح ص ٢٦١ جـ ٢ من شروح التلخيص

شبكة الألوكة www.alukah.net

أقسام المجاز العقلي ومراتبه

مزاياه على الإجمال

هذه مزايا المجاز العقلي على الإجمال:

قال عبد القاهر في بيان مزايا المجاز العقلي: اعلم أنه الذي ذكرت لك في المجاز هناك من أنه يفخم عليه المعنى ويحدث فيه النباهة فاعلم لك مثله هيهنا، فليس يشتبه على عاقل أنه ليس حال المعنى وموقعه في قول رؤبة من أرجوزة له:

يا رَبِّ قد فَرَّجْتَ عني غَمِّي ∴ فكنتُ ذا هَمٍّ وراعي نَجْمِي
فنامَ لَيْلِي وتَجَلَّى هَمِّي

كحاله وموقعه إذا أنت تركت المجاز وقلت - فنمت ليلي - كما لم يكن الحال في قولك - رأيت أسدا كالحال في قولك: رأيت رجلا كالأسد، ومن الذي يخفى عليه مكانه العلو وموضع المزية وصورة الفرق بينه قوله تعالى ﴿فما ربحت تجارتهم﴾ وبينه أن يقال - فما ربحوا في تجارتهم - وإنما أردت أن تزداد للأمر تبينا فانظر إلى بيت الفرزدق:

يَحْمِي إذا اخْتُرِطَ السيوفُ نساءَنا ∴ ضَرْبٌ تَطِيرُ له السواعدُ أرْعَلُ[1]

وإلى رونقه وماءه، وإلى ما عليه من الطلاوة، ثم ارجع إلى الذي هو الحقيقة وقل - نحمي إذا اختط السيوف نساءنا بضرب تطير له السواعد أرعل - ثم اسبر حالك هل ترى مما كنت تراه شيئا؟ فهذا الضرب من المجاز على جملته كنز من كنوز البلاغة، ومادة

(1) يقال أرعله إذا أطعنه طعنا شديدا مريعا

الشاعر المفلق والكاتب البليغ في الإبداع والإحسان، والاتساع في طرق البيان[1]

وينقسم المجاز العقلي إلى قسمين: أولهما عامي أتى في كلام عامة الناس ومنه قولهم، كما ترى الرجل يقول - أتى بي الشوق إلى لقائك، وسار بي الحنين إلى رؤيتك - وأشباه ذلك مما تجده لسعته وشهرته يجري مجرى الحقيقة التي لا يشكل أمرها عامي وخاصي

وثانيهما خاصي يدقه ويلطف حتى يمنع مثله إلا على الشاعر المفلق والكاتب البليغ، وحتى يأتيك بالبدعة لم تعرفها، والنادرة لم تألفها حسا، ومن اللطيف في ذلك قول حاجز يهجو عوف:

أبى جَبَرَ الفوارسَ يومَ دَاجٍ ∴ وعَمَّى مالكٌ وضعَ السِّرَاما[2]
فلو صاحبتنا الرضيتِ عَنَّا ∴ إذا لم تَغْبِطُوهُ الهامةُ الغلاما

يريد إذا كانه العام عام جدب، وجفت ضروع الإبل، وانقطع الدَّرُّ، حتى إنه إذا حلب منها مائة لم يحصل منه لبن ما يملكه غبوقه غلام واحد، والمجاز في إسناد الغبوقة إلى الإبل

ومن أسباب اللطف في ذلك أنه ليس كل شيء يصلح لأن يتعاطى فيه هذا المجاز بسهولة، بل تجد ذلك يتيسر من الأمر وأنت تحتاج إلى أن تهيئ الشيء وتصلحه لذلك بشيء تتوخاه في النظم، وهذا أصل قول بعضهم الشعراء يصنعون

(1) دلائل الإعجاز ص ٨٣ (2) عبر الفوارس وزاحم وعرف عدوها، ويوم داج منه إضافة الموصوف إلى الصفة، أي يوم مظلم، والسرام الفتية التي كان يأخذها من الحارث به عبد الله

جملا :

تناسى طلاب العارية إذ أنا .. بأنجو مرقال الضحى قلوص الضفر (١)

إذا ما أحسته الأفاعي تحزنت .. شواة الأفاعي منه مثلمة سمر (٢)

تجوب له الظلماء عينه كأنما .. زجاجة شرب غير ملأى ولا صفر (٣)

يريد أنه يهتدي بنور عينه في الظلماء، ويمكنه بها أن يخرق بها ويمضي فيها، ولولاها لكانت الظلماء، في السدة الذي لا يجد للسائر شيئا يفرجه به، ويجعل لنفسه فيه سبيلا، فلولا أنه قال - تجوب له - فعلّق له بتجوب لما تبيّن جهة التجوز في جعل الجوب فعلا للعين كما ينبغي، لأنه لم يكن حينئذ في الكلام دليل على أنه اهتداء صاحبها في الظلماء ومضيه فيها بنورها، وكذلك لو قال - تجوب له الظلماء عينه - لم يكن له هذا الموقع، ولانقطع الشبه من حيث لم يعبه حينئذ أن يصف العين بما وصفها به

تقسيمه باعتبار طرفيه

وقد يجتمع التجوز في الطرفين مع التجوز في الإسناد فيزداد بذلك حسناء ويكون أعلى رتبة في الفصاحة من المجاز الذي لا تجوز في طرفيه، وهو من هذه الناحية أربعة أقسام: أولها أن يكون طرفاه حقيقتين، كما في قول جرير:

لقد لمتني يا أم غيلان في السرى .. ونمت وما ليل المطي بنائم

أسند النوم إلى الليل على سبيل المجاز العقلي، وأراد من الليل حقيقته، كما أراد منه النوم حقيقته أيضا

(١) الأسجر الرقيق المشفر، والمرقال السريع، والضفر الجرام (٢) شواة الأفاعي جلدها، والمثلمة الاختلاف التي تلحق السير على الحجارة (٣) الشرب جماعة الشاربة والصفر الخالية

وثانيهما أن يكون المجازيه، نحو قولك: أحيا الأرض شباب الزمان، فإنه المراد بإحياء الأرض إحداث النضارة والخضرة فيها، مع أنه الإحياء في الحقيقة إعطاء الحياة، وهي صفة تقتضي الحس والحركة الإرادية، وكذلك المراد بشباب الزمان ابتداء حرارته وازدياد قواه المنمية للنبات، وهو في الحقيقة أنه يكون الحيوان في زمانه تكون حرارته الغريزية مشبوبة، أي قوية مشتعلة

وثالثها أن يكون المسند وحده مجازا، كما في قول أبي الطيب:

وتحيي له المال الصوارم والقنا .. ويقتل ما تحيي التبسم والجدا (١)

جعل الزيادة والوفور حياة للمال، وجعل تفريقه في العطاء قتلا له، ثم أثبت الإحياء فعلا للصوارم والقنا فعلا للتبسم على طريقه المجاز العقلي

ورابعها أن يكون المسند إليه مجازا وحده، نحو قولك: أنبت الربيع شباب الزمان

(١) الجدا العطاء

الخلاف في المجاز العقلي

إنكار عبد القاهر له

اختلف القوم في ثبوت المجاز العقلي خلافاً كبيراً، وقد جاء في مقدمة كتاب نقد النثر أن المجاز العقلي منه بإنكار عبد القاهر، وأنه هو الذي أنفق جهداً غير قليل في الدفاع عنه، وتمييزه عن المجاز اللغوي، ولكنه لا شك في أنه الأساس الذي بني عليه هذا التمييز محل النظر (١)

وما ذكره عبد القاهر في تأييد هذا المجاز أنك إذا نظرت في قول الفرزدق:

سقاها خُرُوقٌ في المسايل لم تكن ... غِلاظاً ولا مخبوطةً بالمَلاغِمِ (٢)

وجدت في قوله - سقاها خروق - مجازاً، ولكنه ليس في نفس الفعل لأنه لم يرد به غير السقي، وإنما هو في أنه أسنده إلى الخروق (٣)

وكان الخطيب القزويني منه أشدّ أنصار عبد القاهر في المجاز العقلي، وذكر في وجه تسميته عقلياً أنه يستند إلى العقل دون اللغة، لأن إسناد الكلمة إلى الكلمة شيء يعقل بقصد المتكلم دون واضع اللغة، فلا يعبر - ضرب - خبراً عن زيد بواضع اللغة، بل بمن قصد إثبات الضرب فعلاً له، وإنما الذي يعود إلى واضع اللغة أن - ضرب - لإثبات الضرب لا لإثبات الخروج، وأنه لإثباته في زمانه خاصة وليس لإثباته في زمانه مستقبل، فأما تعيينه من ثبت له فإنما يتعلق به من أراد ذلك من المخبرين، ولو أنه لغوي الكلمة حكمنا بأنه مجاز في مثل قولنا - خط أحسنه ما وشى الربيع - من جهة أن الفعل لا يصح إلا منه الحي القادر

رد الخطيب عليه

(١) بقدمة نقد النثر ص ٨ (٢) الغلاط سمة الإبل وأغناقها، والخباط سمة في ملاعز أفخاذ جوانب أفواهها، يصف إبل أشراف ضالة بعرفها الناس فيسقونها لا تعلم عليها سمتهم (٣) دلائل الإعجاز ص ٢٧٧

حكماً بأنه اللغة هي التي أوجبت أن يختص الفعل بالحي القادر دون الجماد، وذلك مما لا يشك في بطلانه (١)

رد السكاكي المجاز العقلي إلى الاستعارة الكنائية

وأنكر السكاكي المجاز العقلي، واختار نظمه في سلك الاستعارة بالكناية، فجعل الربيع في مثل قولك - أنبت الربيع البقل - استعارة بالكناية عن الفاعل الحقيقي بوساطة المبالغة في التشبيه على ما علم مبنى الاستعارة، وجعل نسبة الإنبات إليه قرينة لها، وجعل الأمير في مثل قولك - هزم الأمير الجند - استعارة بالكناية عن الجند الهازم، وجعل نسبة الهزم إليه قرينة للاستعارة، وهكذا (٢)

رد الخطيب عليه

ورد عليه الخطيب القزويني ذلك بأنه يستلزم أن يكون المراد بعيشة في قوله تعالى (فهو في عيشة راضية) صاحبها، فيلزم أن يكون ظرفاً له بهذا المعنى، وهذا يستلزم ظرفية الشيء لنفسه، وبأنه يستلزم ألا يكون الأمر بالبناء في قوله تعالى (يا هامان ابنِ لي صرحاً) للإهانة مع أنه للتعذيب، وبأنه يستلزم تشبيه الربيع في قولك - أنبت الربيع البقل - بالفاعل الحقيقي وهو الله تعالى، وفيه من سوء الأدب ما فيه، إلى غير ذلك مما رد عليه به، والحق أن مذهب عبد القاهر في ذلك أولى من أسلوب اللغة به من ذلك الذي يتكلفه السكاكي فيه

وهناك مذهب ثالث لابد الحاجب يرى فيه أن المجاز في نحو قولك - أنبت الربيع البقل - في الفعل لا في الفاعل كما ذهب إليه السكاكي، ولا في الإسناد كما ذهب إليه عبد القاهر

والظاهر أنه كان يوجد في عصر عبد القاهر من كان يذهب في ذلك إلى

(١) الإيضاح جـ ١ ص ٥٥ وبغية الإيضاح (٢) مفتاح العلوم ص ١٦٠ (٣) شرح الإيضاح ص ٦٦ جـ ١

مثل ما ذهب إليه السكاكي وابن الحاجب، ولذلك عُني برده ومثل قول البحتري:

فصاغ ما صاغ منه بَدْرٌ ومنه وَرْدٌ، وحاك ما حاك منه وَشْيٌ ويَنْبَاعٌ

فقال فيما نقله عنه أبو القاسم الآمدي: صوغ الغيث وحوكه النبات ليس باستعارة، بل هو حقيقة، ولذلك لا يقال - هو صائغ ولا أنه صاغ - وكذلك لا يقال - حائك وكأنه حائك - على أنه لفظة حائك خاصة في غاية الركاكة إذا أخرجت على ما أخرجه عليه أبو تمام في قوله:

إذا الغيث غادى نَسْجَهُ خِلْتَ أنه: خَلَتْ حِقَبٌ مَرَّتْ له وهو حائك (١)

وهذا قبيح جدا، والذي قاله البحتري - وحاك ما حاك - حسن مستعمل، فانظر بأي عين الكلابية تنظر بأي عين الرجل (٢)

ثم قال: فإن قلت أليس الكلام على الجملة معقودا على تشبيه الربيع بالقادر وتعلقه وجود الصوغ والنسج به، فكيف لم يجز دخول الكاف والكلام منه هذه الجهة؟

ثم أجاب بأن هذا التشبيه ليس هو التشبيه الذي يعقد في الكلام، ويفاد بكأن والكاف ونحوهما، وإنما هو عبارة عن الجهة التي راعاها المتكلم حين أعطى الربيع حكم القادر في إسناد الفعل إليه، ووزانه ووزان قولنا إنهم يشترونه مثلا - ليس، فيرفعونه بالمبتدأ ويثبتونه الخبر، فيقولون ما زيد منطلقا، فتخبر عنه بقدر ما تقدر وتأتي بهم وجهة راعوها في ذلك، ولا يتصور أن يكون - ما زيد منطلقا - تشبيها على حد - كأن زيدا أسد - كذلك لا يكون - صاغ الربيع - من التشبيه، هذا وإن كان صوغا شبيه فهو في الربيع لا في الفعل المسند إليه، وإن كان قد فاز صاغ وحاك هل يكون تشبيها واستعارة أم لا (٣)

(١) الضمير في نسجه للروضة قبل هذا البيت، وخلت حقب طويلة (٢) أسرار البلاغة ص ٢١٠ (٣) الذي أراه أنه الصوغ والحوك وذلك استعارة لا حقيقة، وأنه أسنده مع هذا إلى الربيع مجاز عقلي كما يريد عبد القاهر

باب الكناية والتعريض

قال عبد القاهر في تعريف الكناية: المراد بالكناية أن يريد المتكلم إثبات تعريف الكناية معنى من المعاني فلا يذكره باللفظ الموضوع له في اللغة ولكن يجيء إلى معنى هو تاليه وردفه في الوجود فيومئ به إليه ويجعله دليلا عليه (١)

واختصر الخطيب هذا فقال في تعريفها: الكناية لفظ أريد به لازم معناه مع جواز إرادته معه، كما في قول الشاعر:

طويلُ نجادِ السيفِ لا مُتَضائلٌ: ولا زَهِلٌ لَبَّاتُهُ وبآدِلُهْ (٢)

فقوله - طويل نجاد السيف - كناية عن طول قامته، لأنه يلزم من طول النجاد طول القامة، ويجوز أن يراد مع ذلك طول النجاد، وهو المعنى الحقيقي للفظ، ولا بد في الكناية من قرينة تدل على المعنى الكنائي فرارا من المجاز، ولكن قرينة الكناية لا تمنع من إرادة المعنى الحقيقي، بخلاف قرينة المجاز، وكذلك لا بد في الكناية من علاقة بين المعنى الحقيقي والكنائي، وقيل إن الكناية لا تحتاج إلى العلاقة كما يحتاج المجاز، لأن العرب تكني عن الجبس بأبي البيضاء، وعن الضرب بأبي العيناء، ولا اتصال بينهما في ذلك لما بينهما من التضاد، ورد السبكي هذا بأن الكناية قد تكون بالتضاد أيضا كالمجاز (٣)

والحق أن الكناية لا بد فيها من العلاقة أيضا، ولهذا اعتبر في تعريفها أن يكون الانتقال فيها من الملزوم إلى اللازم، فتكون علاقتها فيما بين

(١) دلائل الإعجاز ص ٥٦ (٢) زهل أملس، والبادل جمع بادلة وهي لحم الصدر (٣) عروس الأفراح ص ٤٦ ج ٢ من شروح التلخيص

منه اللزوم بينه المعنى الحقيقى والكنائى، ومنه المنقد بينه منه فانه لا
يفرق بينه المجاز والكناية، ويعدُّ الكناية نوعا منه المجاز كالاستعارة
وقد يمتنع فى بعض الكنايات إرادة المعنى الحقيقى لأمر لا يرجع الى ذات الكناية،
كما فى قوله تعالى (فاطر السموات والأرض جعل لكم من أنفسكم أزواجا ومن
الأنعام أزواجا يذرؤكم فيه ليس كمثله شئ وهو السميع البصير) فقوله
تعالى - ليس كمثله شئ - كناية عن نفى المماثلة عن ذاته تعالى، مع أن
معناه الحقيقى نفى المماثلة عن مثله لا عن ذاته، والله سبحانه وتعالى
لا مثل له، فامتنع إرادة المعنى الحقيقى هنا من هذه الجهة، وقيل إن الكاف
فى الآية زائدة، والمعنى أنه لا حاجة إلى تكلف زيادتها فيها، وإنما هى
من قبيل قولهم - مثلك لا يبخل - يريدون نفيه عن ذاته، ولكن قصدوا
المبالغة فى ذلك فسلكوا به طريق الكناية، لأنهم إذا نفوه عمن يسد
مسده ويكون على أخص أوصافه فقد نفوه عنه، واستعملوا هذا
فيمن لا مثل له مثل ومنه لا مثل له، ونحوه قوله تعالى (وقالت اليهود يد الله
مغلولة غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا بل يداه مبسوطتان ...)
فقوله (بل يداه مبسوطتان) معناه أنه جواد من غير تصور يد ولا
بسط لها، لأنها وقعت عبارة عن الجود من غير قصد شئ آخر معه، حتى
إنهم استعملوها فيمن لا يد له، وهذا هو شأن كل كناية، فإنه
المقصود فيها هو المعنى الكنائى، أما المعنى الحقيقى فغير مقصود
فيها إلى ذلك الحد الذى يمتنع إرادته لأمر لا يرجع إليها

ومن الكناية قول عنترة:

فشككت بالرمح الأصم ثيابه ... ليس الكريم على القنا بمحرم

وقد اضطربت كلمة القوم فى تعريف التعريض والفرق بينه وبين الكناية، تعريف التعريض
وكثير من علماء البيان لا يفرق بينهما، ويمثل لأحدهما بما حقه أن يمثل
به للآخر، ومن هذا أنهم يذكرون فى الكناية قول امرئ القيس:

وصرنا إلى الحسنى ورق كلامنا ... ورضت فذلت صعبة أى إذلال

فيقولون إنه هذا كناية عن المباضعة مع أنه من التعريض، فإنه غرضه من ذلك
أن يذكر الجماع، غير أنه لما استقبح ذكره لم يذكره، بل ذكر كلاما آخر يدل به
عليه بقرينة السياق، لأن المصير الى الحسنى ورقة الكلام يفهم منهما
أراده امرؤ القيس من المعنى، وهذا مما لا خفاء فيه

وعرف ابن الأثير التعريض فقال: إنه اللفظ الدال على المعنى من طريق
المفهوم لا الوضع الحقيقى ولا المجازى[1] وهذا التعريف كما ذكره
العلوى فاسد من جهة أنه يفيد أن دلالة التعريض لغوية، مع
أن التعريض يفهم من قصد المتكلم بقرينة من القرائن لا بطريق اللفظ،
وهذا الأمر المفهوم إما مفهوم موافقة كما فى قوله صلى الله عليه وسلم
(لا تضحوا بالعوراء) فإنه يدخل فيه العمياء، وإما مفهوم مخالفة
كما فى قوله صلى الله عليه وسلم (لا تبيعوا الطعام إلا مثلا بمثل) فإنه
لا يكون مطعوما لا يجرى فيه الربا عند الشافعى، وكل واحد من هذين

---

(١) المثل السائر ص ٢٤٥

المفهومية دلالته لغوية، فلا كونه دلالة التعريض من طريق المفهوم،
ثم اختار في تعريفه أنه يقال فيه: هو المعنى الحاصل عند اللفظ لا به، أو
هو المعنى المدلول عليه بالقرينة دون اللفظ (١)
فالتعريض على هذا غير الكناية، وقد يرد مع هذا وكلامنا
الملازمة الكناية على ما سيأتي التعريض، والخطب في هذا سهل
ومن التعريض قوله تعالى (قالوا أأنت فعلت هذا بآلهتنا يا إبراهيم قال بل
فعله كبيرهم هذا فاسألوهم إن كانوا ينطقون) فلم يرد إبراهيم عليه السلام
نسبة الفعل إلى الكبير الأصنام، وإنما قصد تقريره لنفسه على نحو خفي
وسلك تعريضه، يبلغ به إلزام الحجة لهم، والتسفيه لحلومهم
وقد يرد التعريض في غير الألفاظ العربية من السريانية والفارسية، ومن
أعجب ما سمع في ذلك أن رجلا من خواص كسرى قيل له: إن الملك
يختلف إلى امرأتك، فهجرها من أجل ذلك وترك زيارتها، فأخبرت كسرى
فدعاه وقال له: قد بلغني أن لك عنا عذرا، وأنك لا تشرب مزرا. فقال
له: أيد الملك، بلغني أنه الأسد بردها فخفته، فاستحسن كسرى منه
كلامه، وأسنى عطيته

منزلتها والكناية والتعريض والفصاحة موقع عظيم، فإنها يفيد بها الألفاظ جمالا،
ويكسبها المعاني وبهاجة وكمالا، ويحركان النفوس إلى علمها ويوعيها
القلوب إلى فهمها، فهما يقصانه من الفصاحة وأعلى المراتب، ويحوزانه
منها أعظم المناقب، وهذا إلى ما يفيدانه من تأييد المعنى وتقريره،
وسيأتي بيانه هذا وقوله به الكناية والتصريح

أغراضها ولا يترك التصريح بالشيء إلى الكناية عنه أو التعريض به في بليغ الكلام

---

(١) الطراز ج ١ ص ٢٨

إلا لغرض من الأغراض، كتنويه بالإيضاح والتقرير، أو بيان حال الموصوف،
أو مقدار حاله، أو القصد إلى المدح أو الذم، أو الاختصار، أو الستر وإصابة
أو التعمية والإلغاز، أو التعبير عن الصعب بالسهل، أو عن الفاحش
بالطاهر، أو عن المعنى القبيح باللفظ الحسن، كما في قوله تعالى (ويسألونك
عن المحيض قل هو أذى فاعتزلوا النساء في المحيض ولا تقربوهن حتى يطهرن
فإذا تطهرن فأتوهن من حيث أمركم الله إن الله يحب التوابين ويحب
المتطهرين) كنى في ذلك عن الجماع والفروج ولم يصرح فيهما استقباحا
للفظهما، ومثل هذا قوله تعالى (ما المسيح بن مريم إلا رسول قد خلت
من قبله الرسل وأمه صديقة كانا يأكلان الطعام انظر كيف نبين لهم
الآيات ثم انظر أنى يؤفكون) كنى في ذلك عن التغوط بأكل الطعام لأنه
سببه، ولم يصرح بلفظ التغوط استقباحا له، وقيل في معنى ذلك: إنه
من احتاج إلى الاغتذاء بالطعام وما يتبعه من الهضم والتفصل لم يكن إلا
جسما مركبا من عظم ولحم وعروق وأعصاب وأخلاط وأمزجة مع
شهوة وقرم وغير ذلك مما يدل على أنه مصنوع مؤلف مدبر كغيره
من الأجسام

شبكة الألوكة www.alukah.net

الكناية الحسنة والقبيحة

مراعاة المقام في الكناية

إنما تحسن الكناية في الموضع الذي لا يحسن فيه التصريح، فإذا حسن التصريح في موضع من المواضع لم تحسن الكناية فيه، ومن المواضع التي يحسن التصريح فيها مواضع الهزل والمجون والنوادر، فإن لطيفها يرتاح لذلك، ولا تكون الكناية فيها مرضية، لأنه لكل مقام مقال، ولكل غرض فنًّا وأسلوبًا، ولهذا لم يستقبح التصريح بالفرج في هذا الهجاء المعدود من أبلغ ما قيل في هذا الباب:

قومٌ إذا استنبح الأضياف كلبهم :: قالوا لأمهم بولي على النار

فضيقت فرجها بخلًا ببولتها :: فلا تبول لهم إلا بمقدار

وقبح في قول الشريف ما هو قريب من هذا وزنًا، والذنب:

كأنه أرتكاضي في حشاك مسببًا :: نصب الفليل عليك في أحشائي

فذكره عبَّر في هذا بلفظ كان يجب أن يُكنى عنه في ذلك المقام

وكذلك استقبحوا من التصريح قول امرئ القيس في مقام الغزل:

فمثلك حبلى قد طرقت ومرضع :: فألهيتها عن ذي تمائم محول

إذا ما بكى من خلفها انصرفت له :: بشق وتحتي شقها لم يحوَّل

وقد أراد أبو الطيب المتنبي أن يكني في مثل هذا المقام عن قبح التصريح بالكلمة فلم يسلم من قبح الكناية، لأنه لم يبتعد فيها عن شائبة التصريح، وهذا في قوله:

إني على شغفي بما في خمرها :: لأعف عما في سراويلاتها

فهذه كناية عن الفواحش والعفة، إلا أنه الفجور أحسن منها، ومثله قول الآخر:

تعطيه من رغباتك ما :: تعلي الأكف من الرغاب

وما يقبح التصريح فيه أرفع من السؤال، كما صرح هو من السؤال في شعر فسقطت به منزلتهم، وكما ليس به ربيعة يطعم كلما اصبأت إليها[1] فلما أسنَّ وأقل بعث إليه الوليد به عقيقة ماشية من إبل ينحرها العادية، فقال لابنته: أستري هذا الرجل، فإني لا أجد نفسي تجيبني، ولعله لا أعيا بجواب شاعر. فقالت هذه الأبيات:

إذا هبَّت رياح أبي عقيل :: دعونا عند هبتها الوليدا[2]

أغرَّ الوجه أبيض عبشميًّا :: أعان على مروءته لبيدا[3]

أرتال الركاب كأنه ركبًا :: عليها من بني حام قعودا

أبا وهب جزاك الله خيرًا :: نحرناها وأطعمنا الثريدا

فعند الله إن الكريم له معادٌ :: وظني يا ابن أروى أنه تعودا

ومرضا عليه، فقال: لقد أحببت لو أنك استعدت، كما قيل لها:

:: فعند الله الكريم له معاد ::

ومن التصريح القبيح الذي ذكره الأطباء ما روي من امرأة أرادت على عهد ابن سعد، فقالت: أشكو إليك قلة الفأر في بيتي، فقال: ما أحسن ما وصَّى عنه حاجتها، املؤوا لها بيتها خبزًا وسمنًا ولبنًا. ويحكى أن عجوزًا تعرضت لسليمان بن عبد الله فقال لها: يا أمة الله

(١) الصبا: ريح مهبها من مطلع الثريا (٢) أبو عقيل كنية لبيد (٣) عبشميًّا نسبة إلى عبد شمس

، مشت جذاذه بيمنى لا تعجيج . فقال لا : أنفت في السؤال ، لا عجم
لفرقتنا يثب وثب الفهود ، ولا أبيرها حبًّا

واستقبحوا أيضا لعدم مراعاة المقام في الكناية قول النابغة :

رقاقة النعال طيب حجزاتهم :: يحيون بالريحان يوم السباسب (١)

يمدح بهذا الملوك بني غسان ، ومثل لا يمدح به السوقة فضلا عن الملوك ، وإنما يمدح الملوك بمثل قول الشاعر :

له همم لا منتهى لكبارها :: وهمته الصغرى أجل من الدهر
له راحة لو أنه مشاجوده :: على البر كان البر أندى من البحر

مراعاة اللفظ والمعنى

ومما تقبح الكناية به سوء تأليف وتخوه مما يخل بفصاحتها ، كقول أبي الطيب السابق :

إني على شغفي بما في خمرها :: لأعف عما في سراويلاتها

فالكناية قبيحة أيضا من جهة لفظها ، لوقوع هذا اللفظ الثقيل سراويلاتها في وسط

ومن ذلك أيضا قول أبي تمام :

من الرهيف لو أن الخلاخل صيرت :: له وشاحا جالت عليه الخلاخل

وقبح الكناية فيه من جهة تعقيد معناه ، لأنه أراد وصفه بدقة الخصر ، فكنى عنه هذا بأنه الخلاخل لو جعلت وشاحا له جالت عليه ، وهذا لا يدل على مراده ، بل يدل على بلوغه الغاية في القصر ، لأنه أمكنه أنه

(١) الحجزة معقد الإزار ، وهذه كناية عن عفتهم ، ويوم السباسب هو يوم الجمعة عيد للنصارى

تكون الخلاخل وشاحا له ، والوشاح يقصر به العاقل إلى الكشح ، ولو قال بدل هذا - حقبا - لكان جيدا ، كما قال النمري :

ولو قسمت يوما خلاخل بيقارها :: لكانا سواء لا بل الحجل أوسع (١)

فجعل الحجل أوسع من الحقاب ، لأنه امتلاء الأسوق محمود ، ورقة الخصور محمودة ، والجيد في ذكر الوشاح قول ذي الرمة :

عجزاء مكفورة خمصانة قلقه :: منطا الوشاح وتم الجسم والقصب

وقول كثير :

يجول الوشاح بأقرابها :: وتأبى خلاخلها أن تجولا

ويجب أن يراعى أيضا في الكناية ما يليق بكل زمان ومكان ، كما روعي مثل مراعاة الزمان والمكان هذا في التشبيه والاستعارة ، فقد يحسن في زمن أن يكنى عن ترف المرأة بأنها تنوم الضحى ، كما في قول امرئ القيس :

ويضحي فتيت المسك فوق فراشها :: تنوم الضحى لم تنطق عن تفضل

فالمرأة الجاهلية التي لم يكن لها عمل يحسن في هذا الوصف ، أما المرأة المسلمة فمطلوب منها أن تبكر في القيام من نومها لصلاة الصبح ، كما يطلب من المرأة في عصرنا أن تبكر في ذلك لتدبر بنفسها شؤون بيتها في الصباح ، ولا يليق في عصر العمل أن تمدح المرأة بذلك الإهمال

وقد يحسن في بلاد العرب أن يكنى في عصرنا الكريم بقول ابن هرمة :

لم أمتع العوذ بالفصال ولا :: أبتاع إلا قريبة الأجل

(١) الحجل الخلخال ، والحقاب ما تشده المرأة على وسطها (٢) العوذ النوق الحديثة النتاج ، والفصال أولادها

www.alukah.net

لأنه الكرم في بلاد العرب قائم بهذا الشكل، وكانت النوق خير أموالهم، فكانوا يفتخرون ببذل الرطب لأضيافهم، أو ببذل البارد لهم، أما في بلد كمصر فيجب أنه يكنى فيها عنه الكرم بما يلائم حال أهله، لأنه لا يكون فيه بذل النوق كما يكون في بلاد العرب، وإنما يكون ببذل الذهب والفضة وما إليهما، فيحسن أن يكنى عنه الكرم فيها بمثل قول النضر بن جؤية:

لا يألف الدرهم المضروب صرتنا ∴ لكنه يمر عليها وهو منطلق

[redacted]

ولا يحسن أن يكنى عنه فيها بمثل قول البارودي:

وإني امرؤ لولا العوائق أذعنت ∴ لسطوته البيد المغيرة والحضر
منه النفر الغر الذين سيوفهم ∴ إذا جحوا شتى لكل داجية فجر
لهم عمد مرفوعة ومعاقل ∴ وألوية حمر وأفنية خضر
وثار لها في كل شرق ومغرب ∴ بنو الضرع الظلماء السنة حمر

فإنه إقامة النار للهداية السارية إلى أصحابها قائمة عند صنع أجواد العرب، ومثل هذا لا يعرفه الآن أهل مصر

أقسام الكناية ومراتبها

باعتبار المكنى عنه

تنقسم الكناية باعتبار المكنى عنه إلى ثلاثة أقسام تختلف بعضها عن بعض مراتب الفصاحة: أولها الكناية عن الموصوف بصفة أو صفات خاصة به، الكناية عن الموصوف كما في قول أحد شعراء:

وبيضة جوانحي وافي الوفي ∴ إذا الحي الدياتي رضي وآبا

فقوله - وافي الوفي - كناية عن القلب، ومثله في الكناية عن القلب قول البحتري:

فأبعث أخرى فاضلات نصالها ∴ بحيث يلوذ اللب والرعب والحقد

فقوله - بحيث يلوذ اللب والرعب والحقد - كناية عن القلب، وإنما المعبر عنه باسمه والمكنى عنه بهذا لأنه إذا ذكره بهذه الكنايات دل على شرفه وتميزه عن جميع الجسد بهذه الأشياء، وأنه أصاب هذا المرمى وأشرف موضع منه، ونظيره في هذا قول الآخر:

الضاربه لب أبيضه مخذم ∴ والطاعنه بجايع الأشفار

وسمه الكناية بمجموع صفات عن موصوف واحد قولهم في الكناية عن الإنسان: حي مستوي القامة عريض الأظفار، وقول أبي نواس:

إذا أنت أبصرت الدريئة لفأها ∴ فأنت جبيشاري أجد ابنة ساعد
وقل للرفا ما لفت سهم فرقد ∴ لساعد خفت بخس ولا نكد

وهذا القسم أقل في الفصاحة من القسمين الآتيين، والفرق بينه وبينهما الحقيقة قليل جدا، لأنه إذا أطلق مجموع الصفات مثل قلب فإنه إطلاقه عليه يلوح حقيقة لا كناية، وللزم جعلوه كناية منه جهة أن هذا اللفظ استعمل فيه وفيما يرادفه في كل مستعمل من الذات والصفة، وإنما أريد منه الذات وحدها

www.alukah.net

لذه الخصلة لا شاهد له كمويه القلب بجمع صفقه ونحوه

وذكر السبكي أنه لا يصح عد هذا القسم جملة من الكناية، لأن الكناية ما قابل الصريح، والحد والرسم صريحان في المعنى، ولذلك الكنى التي هي أحد أنواع الأعلام صرحوا بأنها كناية، وفيه نظر، لأن الكنية علم والعلم صريح في مسماه، فلا فرق بين دلالة أبي عبد الله ودلالة زيد العلم عليه[1]

الكناية عن الصفة

والثاني الكناية عن الصفة بما هو رديف وتابع لها، كما في قول أحمد شوقي:

مرّ سائر من قروبه علينا ∴ رسّفا في القيود والأغلال
وانقضى الدهر بين زفرة الغر ∴ بين وحشو التراب والأثقال

فهذه كلها كناية عن صفة الاستعباد والاضطهاد والجرائم

وكذلك قول المتنبي:

تشكّى بما اشتكيت منه ألم النوى ∴ وفيه البراء والشوق حيث النحول

فقوله - والشوق حيث النحول - كناية عن صدقه في شكواه وكذبه في قوله، النحوله وعدم نحوله

وهذا القسم أفضل من القسم الأول، لأنه يفيد مع الانتقال منه المبالغة، ومن لطيف المبالغة وذلك قوله تعالى (ولما سقط في أيديهم ورأوا أنهم قد ضلوا قالوا لئن لم يرحمنا ربنا ويغفر لنا لنكونن من الخاسرين) فقوله (ولما سقط في أيديهم) كناية عن أصابهم من شدة الندم والحسرة على عبادة العجل، لأنه من شأن من يشتد ندمه أن يعض يده غما، فتصير يده مسقوطا فيها، لأنه فاه قد وقع فيما يعض يده غما

(١) عروس الأفراح من ٥١ من شروح التلخيص

والثالث الكناية عن النسبة، وهي التي يقصد منها نسبة أمر لأمر أو نفيه عنه، فتكون الكناية عن النسبة

الصفة مصرحا بها فيها، وتكون الكناية فيها بتوسط الموصوف لأو نفيها عنه، مثل قول زياد الأعجم في مدح عبد الله بن الحشرج أمير نيسابور:

إن السماحة والمروءة والندى ∴ في قبة ضربت على ابن الحشرج

أراد أنه ثبت هذه الصفات له فكنى عنها بأنه جعلها في قبة مضروبة عليه، لأنه إذا ثبتت أمر في مظانه الرجل وحيزه فقد أثبت له

ومنه قول الشنفرى في وصف امرأة بالعفة:

بيت بمنجاة من اللوم بيتها ∴ إذا ما بيوت بالملامة حلّت

كنى بنفي اللوم عنه بيتها عن نفي أنواع الفجور عنه، ثم كنى بنفي الفجور عنه براءة منها ومفقتها، وقال - بيتها - دون نظل لمزيد اختصاص الليل بالمواضع التي أراد نفيها عنها

ومما اجتمع فيه الكناية عن الصفة وعن نسبتها إلى الموصوف قول أبي نواس:

فما جازه جود ولا حل دونه ∴ ولكنه يصير الجود حيث يصير

كنى عن جميع الجود بأنه جاوزه وحل دونه، فيلزمه أن يكون متوزعا بقوم منه شيء ويداوسي بذلك، وكنى عن إثباته له بتخصيصه بجهته بعد تعريفه باللام التي تفيد العموم، وقبل إذ كنى بالشطر الأول عن انصافه بالجود والثاني عن لزوم الجود له، وقبل إنما كنى عن انصافه به وقد يكون نسبة المبتة بطريق الكناية عن كنايته أيضا، كما يقال - يكثر الرماد في ساحة عمرو - ففيه كنايتان إحداهما عن المضيافية بكثرة الرماد، والثانية عن إثبات المجد وجعلها في ساحته،

الألوكة
www.alukah.net

ومنه قول الشنفرى فيما سبوه:

بيت بمنجاة من اللوم بيتُه :: إذا ما بيوتٌ بالملامة حُلّتِ

فإنه جعل البيت بمنجاة من اللوم كناية عن نسبة العفة إلى صاحبه، والمنجاة من اللوم كناية عن صفة العفة نفسها.

نقد تقسيم وحامد القدماء من علماء البيان يقسمون الكناية إلى ثلاثة أقسام: التمثيل والإرداف، والمجاورة. والتمثيل أن تراد الإشارة إلى معنى فيوضع لفظ لمعنى آخر ويكون هذا مثالا للمعنى الذي أريدت الإشارة إليه، كقولهم: فلان نقي الثوب أي منزه عن العيوب، والإرداف أن تراد الإشارة إلى معنى فيوضع لفظ لمعنى آخر ويكون هذا إردافا للمعنى الذي أريدت الإشارة إليه ولازما له، كقولهم: فلان طويل النجاد أي طويل القامة، فطول النجاد ردف لطول القامة ولازم له بخلاف نقاء الثوب فالكناية عن النزاهة من العيوب، لأن نقاء الثوب لا يلزم منه النزاهة من العيوب كما يلزم من طول النجاد طول القامة، والمجاورة أن يراد ذكر الشيء فيترك إلى ما يجاوره، كقول عنترة:

بزجاجة صفراء ذات أسرّة :: قُرِنَتْ بأزهر في الشمال مُفدَّم (1)

يريد بالزجاجة الخمر، فذكر الزجاجة وكنى بها عن الخمر لأنها مجاورة لها.

قال ابن الأثير: وهذا التقسيم غير صحيح، لأنه التمثيل على ما ذكروا عبارة عن مجموع الكناية، لأنه الكناية إنما هي أن تراد الإشارة إلى معنى فيوضع لفظ لمعنى آخر ويكون اللفظ مثالا للمعنى الذي أريدت الإشارة إليه، وذلك متى ما يتضح التمثيل فيه ويكون الشبه بينه الكناية والمكنى عنه شديدة المناسبة، ومتى ما يكون دون ذلك في الشبهة، ولا يمتاز الإرداف إلا بأن الكناية فيه تلزم (ليلا على المكنى عنه ولازمة له، بخلاف غيره من الكنايات (2).

(1) الأسرة الخطوط في اليد ونحوها، والأزهر اللبريق، والمفدم المسدود، ليس بالقدام

(2) المثل السائر ص ٤٥

أقسام الكناية وما تتبط

باعتبار علاقتها

تنقسم الكناية أولا باعتبار علاقتها إلى قسمين أحدهما الخاصية وهي التي تنتقل فيها إلى الكناية الخاصية والعامية المكنى عنه بدون حاجة إلى إعمال وتأمل، كقولنا قول التغلبي:

أو ما رأيت المجد ألقى رحله :: في آل طلحة ثم لم يتحول

فإنه فإفادة أن آل طلحة أماجد ظاهر لا يحتاج إلى تأمل، ومثله قول الآخر:

إذا الله لم يسقِ الكرام :: فسقى وجوه بني حنبل

وسقى ديارهم بأكرا :: مه الغيث ذو الرهمة المنهل

فإنه فإفادة كرم بني حنبل كما تراه ظاهر، وكذلك قول الآخر:

متى تخلو تميم من كريم :: ومسلمة بن عمرو من تميم

فإنه فإفادة كرم مسلمة أظهر من الجميع

وتارة تكون الخاصية خفية التي تحتاج فيها ذلك إلى دقة في التأمل، كقول بعضهم في ابن العميد:

والمجد يعلو أبا يوم لجيده :: عقد تساعى ابن العميد نظامه

فانظر إليه حيث أراد أن يثبت المجد لابن العميد على طريق الكناية كيف أثبت لابن العميد تساعي وجعله نظام عقد، ثم جعل مناط هذا العقد جيد المجد، فنبه بهذا كله على اعتناء ابن العميد بتزيين المجد، ونبه بتزيينه إياه على اعتنائه بشأنه ومحبته له، ونبه بهذا على أنه ماجد، ثم لم يكفه ذلك حتى جعل المجد المعترف بكرم الجنس داعيا أن يدوم ذلك العقد لجيده، فنبه بهذا على طلب حقيقة المجد ودوام بقاء

الألوكة
www.alukah.net

ابن العبد، ونبه بهذا على أنه الاقتناء بشأنه مقصور عليه، فأحكم تخصيصه به وأكده أبلغ تأكيد.

ومن خفي الكناية قولهم: فلان عريض القفا، فإنه كناية عن الأبله من الناس، وقولهم فلان عريض الوساد، فإنه كناية عن الأبله أيضا، وكذلك قول بعضهم يهجو به داء الأسد وهو البخر:

أخو لحم أعار منه ثوبا :: هنيئا بالقميص المستجد

وقول آخر في رجل يهجوه:

أراد أبوك أمك يوم زفت :: فلم يوجد لأمك بنت سعد

فقوله - بنت سعد - كناية عن العذرة

وبعض العلماء يدخل الألغاز والأحاجي في الكناية فيلحقه من الكناية الغريبة، كقول الشاعر يحذر قومه:

حلوا على الناقة الحمراء أرحلكم :: والبازل الأصهب المعقول فاصطنعوا

إن الذئاب قد اخضرت براثنها :: والناس كلهم بكر إذا شبعوا

أراد بالناقة الحمراء الدهناء، وبالجمل الأصهب الصمان، وبالذئاب الأعداء، يقول: قد اخضرت أقدامهم من المشي والكلأ والخصب، والناس كلهم إذا شبعوا طلبوا الغزو فحاربوا واعدوا الكم، كما أنه يكربه وابل عدوكم

وقد ذلك ما يذكره بعضهم من التورية في أشعار العرب، وهي كناية بشجرة أو شاة أو بيضة أو ناقة أو ما شاكل ذلك، ومنها قوله تعالى (إن هذا أخي له تسع وتسعون نعجة ولي نعجة واحدة فقال أكفلنيها وعزني في الخطاب) كنى بالنعجة عن المرأة،

وكان عمر رضي الله عنه أو غيره من الخلفاء قد حظر على الشعراء ذكر النساء، فقال حميد بن ثور:

تجنبن أهلوها لأنه كنت شعيرا :: جنونا بطول هذا التحريم

وما لي من ذنب إليهم علمته :: سوى أنني قد قلت يا ليتني أملي (١)

بلى فاسلمي ثم اسلمي ثم اسلمي :: ثلاث تحيات وإن لم تكلمي

وتنقسم الكناية ثانيا باعتبار العلاقة إلى قسمين: قريبة وبعيدة، والقريب الكناية القريبة والبعيد هو هذا باعتبار وجود الواسطة وانتقال من الكناية إلى المكنى عنه، لا باعتبار وضوح اللزوم وخفائه، وقد تكون الكناية قريبة بهذا الاعتبار خفية بالاعتبار السابق، وربما كانت الكناية بعيدة واضحة بهذين الاعتبارين، والكناية القريبة هي التي ينتقل فيها من المكنى عنه بدون واسطة، كما في قول الحماسي:

أبت الروادف والثدي لقمصها :: مس البطون وأن تمس ظهورا

فهذه الكناية عن كبر الأعجاز ونهود الثدي، ولا واسطة في الانتقال من ذلك إليه، ومن الكناية القريبة الخفية ما سبق من قول بعضهم في رجل يهجوه:

أراد أبوه أمك يوم زفت :: فلم يوجد لأمك بنت سعد

كنى بأم سعد عن عذرة، وهي كناية خفية

والكناية البعيدة هي التي ينتقل فيها من المكنى عنه بواسطة أو أكثر، وهذا كقول نصيب في مدح عبد العزيز بن مروان:

لعبد العزيز على قومه :: وغيرهم منة ظاهرة

فيا بك أسهل أبوابهم :: ودارك ما أهولة عامرة

(١) السرحة الشجرة العظيمة، كنى بها عن محبوبته

الألوكة
www.alukah.net

وطلبك أنس الزائر شيء سوى العلم بالإنية الزائرة

فإنه ينتقل من وصف طلبه بما ذكر إلى أنه الزائر به معارف عنده، ومن هذا إلى اتصال مشاهدته إياهم ليلا ونهارا، ومن هذا إلى لزومهم سنته، ومن هذا إلى تسنيه بإغنائهم لديه من غير انقطاع، ومن هذا إلى وفور إحسانه إلى الخاص والعام، وهذا هو المقصود، ولا شك أن الكناية التي تشير إلى كل هذه المعاني ألطف نظرا، وأدخل في باب الفصاحة من الكناية التي ينتقل فيها إلى المكنى عنه بدون واسطة.

ونظير قول نصيب في ذلك قول إبراهيم بن هرمة مع زيادة لطف:

يكاد إذا ما أبصر الضيف مقبلا ... يكلمه من حبه وهو أعجم

فالطلب هنا لا يقتصر على مجرد الأنس، بل يكاد يكلم الضيف من حبه له، وفرحه به.

وهم يسمون الكناية إذا كثرت في الوسائط باسم التلويح، لأنه التلويح هو أنه تشير إلى غيرك من بعد، فإذا لم يكن في الكناية وسائط كثيرة سموها باسم الرمز، إذا كانت في نوع خفاء، وباسم الإيماء والإشارة إذا كانت ظاهرة واضحة.

تفاوت مراتب المجاز والكناية والحقيقة

اختلف كلمة علماء البيان في وجه تفاوت مراتب المجاز والكناية والحقيقة:

فقال عبد القاهر: أجمع الجميع على أن الكناية أبلغ من الإفصاح، والتعريض أقوى من أن يقع من التصريح، وأن للاستعارة مزية وفضلا، وأن المجاز أبلغ من الحقيقة، إلا أنه ذلك وإن كان معلوما على الجملة فإنا لا نعلمه نفس العاقل في كل باب من أبواب العلم به حتى يبلغ فيه غايته، وحتى يعلق الفكر إلى مراده، وإنما نعلمه أنفسنا تمام العلم به إذا عرفنا السبب في ذلك والعلة، وهذا هو القول في ذلك:

اعلم أنه سبيلك أولا أن تعلم أنه ليست المزية التي تثبتها لهذه الأجناس والأنواع التي تدعي إلى نفس المعاني التي يقصد المتكلم إليها بخبره، وللذي هو طريق إثباته لها، وتقريره إياها، تفسير هذا أنه ليست المزية في قولك - جم الرماد - أنه دل على قرى أكثر، بل أنك أثبت له القرى الكثير من وجه هو أبلغ وآكد في إيجابه أشد، وكذلك ليست المزية التي تراها للقول - رأيت أسدا - على قولك - رأيت رجلا كالأسد في شجاعته وجرأته - أنك قد أفدت بالأول زيادة في مساواته الأسد، بل أنك أفدت تأكيدا وتشديدا في إثباتك له هذه المساواة، وفي تقريرك إياها.

وإذ قد عرفت مكان هذه المزية والمبالغة وأين هو فاعلم أن مدار الأمر في كل واحد من هذه الأجناس على علة، أما الكناية فإن السبب في كون الإثبات بها أبلغ من الإثبات بالتصريح أن كل عاقل يعلم أن إثبات الصفة إثبات للشيء بدليل وإيجاب بالشاهد وجودها، ثم إن الذي هو أبلغ في الدعوى من

أنه يجيء البرهان هكذا: إذا جاء فعل، وذلك أنك لا تدعي شاهد الصفة ودليل الدعوى الأمر ظاهر معروف، وبحيث لا شك فيه، ولا يظنه بالخبر العجوز والغلط

وأما الاستعارة فسبب ما ترى لها من المزية والفخامة أنك إذا قلت: رأيت أسدا - كنت قد تلطفت لما أردت إثباته له من فرط الشجاعة حتى جعلته كالشيء الذي يجب له الثبوت والحصول، والأمر الذي نصب له دليل يقطع بوجوده، وذلك أنه إذا كان أسدا فواجب أن تكون له تلك الشجاعة التي لا يكاد يثبت أو المستحيل أو المتنع أن يعرى عنها، وإذا صرحت بالتشبيه فقلت: رأيت رجلا كالأسد - لم تكن قد أثبت إلا الشيء يترجح بأن يكون وبأن لا يكون، ولم يكن منه حديث الوجوب في شيء (1)

استئناف بعد ذكر الخطيب القزويني أن كلام عبد القاهر في هذا مقبول في الكناية، أما صور التشبيه الاستعارة فإنما يقبل فيها مع التشبيه في مثل قولنا - رأيت رجلا هو والأسد سواء في الشجاعة - بخلاف الاستعارة مع التشبيه في غير هذا، لأنه لقائل أن يقول: قد تقدم أن الاستعارة أصلها التشبيه، وأن الأصل في وجه الشبه أن يكون في المشبه به أتم منه في المشبه وأظهر، فقولنا - رأيت أسدا - يفيد للمرئي شجاعة أتم مما يفيده قولنا - رأيت رجلا كالأسد - لأنه الأول يفيد شجاعة الأسد، والثاني شجاعة دون شجاعة الأسد، ثم ذهب إلى أنه يمكنه أن يحمل كلام الشيخ - يعني عبد القاهر - على أنه السبب في كل صورة

(1) دلائل الإعجاز ص 55-58

ليس هو ذلك، لأنه ذلك ليس بسبب في شيء من الصور أصلا (1)

ويريد الخطيب القزويني بهذا أنه يحمل كلام عبد القاهر على وجه لا يدخل تحت قولنا - رأيت رجلا كالأسد - فدعواه أن المزية والكناية والمجاز والاستعارة ترجع إلى الإثبات دون المثبت، ليجري على مذهبه في أنه المزية بين الاستعارة ومثل قولنا - رأيت رجلا كالأسد - في المثبت لا في الإثبات، وكلام عبد القاهر صريح في دخول مثل هذه الصورة من التشبيه في دعواه، وأن ليست مقصورة على صورة التشبيه التي يقترن فيها بالمساواة، وهذا إلى أنه الاستعارة فيها تشبيه ينوى، فوجه الشبه فيها لا بد أن يكون في المشبه به أتم منه في المشبه أيضا

والذي أراه أن مزية المبالغة مطلقا في الإثبات والمثبت معا، لأنه إذا تحقق أنه يختلفون في درجات الشجاعة والكرم وغير ذلك من المعاني التي يعبر عنها بالحقيقة أو المجاز أو الكناية، فيجب أن يراعى هذا الاختلاف في التعبير عن هذه المعاني بهذه الطرق المختلفة في قوة دلالتها، كما يراعى إنكار المخاطب في ضعفه وقوته عند تأكيد الكلام له، وإذا كانت طرق التأكيد في هذا المقام تدل على اختلاف درجات الإنكار، فإنه يجب أن يكون اختلاف الحقيقة والمجاز والكناية دالا على اختلاف معناها أيضا، ولو كان الأمر في الإثبات كما يدعي عبد القاهر لكنا في غنى عنها بما وضع في اللغة من أدوات التأكيد، ولكان قولك

(1) الإيضاح ص 157 ط مصرية الإيضاح

شبكة الألوكة www.alukah.net

- رأيت أسدا يريد به زيدا مثل قولك: إن زيدا شجاع، وهكذا. ولا فرق بين هذا وبين كل طريقة من هذه الطرق تختلف فوارق من هذه الجهة كما تختلف كل طريقة عن الأخرى فيما ذكرنا، فالتشبيه يختلف ومعناه قوة وضعفا، وكذلك المجاز، وكذلك الكناية، وعلى هذا أتى الترقي في تشبيه البحتري الإبل الأنضاء بقوله:

كأن قسيّ المعطفات بل الثرى .. سهام مبرية بل الأوتار

فإنه السرام أرق من القسي، والأوتار أرق من السرام، فالتشبيه الأول يفيد رقة أقل من الثاني، والثاني يفيد رقة أقل من الثالث، ولهذا ترقى فيما قال. وعلى هذا أنكر عبد الملك بن مروان على عُبيد الله بن قيس الرُّقيّات قوله فيه:

يعتدل التاج فوق مفرقه .. على جبينه كأنه الذهب

فقال له: أما لمصعب بن الزبير فتقول:

إنما مصعب شهاب من الله .. تجلت عن وجهه الظلماء

وأما فتقول: على جبينه كأنه الذهب. فلولا أن هذا التشبيه يفيد معنى أتم في المدح لما أنكر منه عبد الملك ذلك التشبيه الذي قاله في مدحه.

ولا بد بعد هذا من بيان الحقيقة في مقاماتها، فقد ذكرت في كتاب البلاغة العالية في علم المعاني أن التشبيه والاستعارة ونحوهما قد تعد من المحسنات البديعية (1)، فيجب الاقتصار فيها، والاحتراز من الكلام بها، وكذلك

(1) البلاغة العالية في علم المعاني ص ٢٠

ذكرت في الكلام على تعريفه علم البيان أنه الدلالة الوضعية، وقد تقاوت أيضا الدلالة العقلية، ويؤيد هذا أنا قد نجد الكلام القريب من الحقيقة أعذب وأحب إلى الناس من الكلام الذي كثر خياله، وبعد عن الحقيقة بجانبه من المجاز والكناية ونحوهما، فيؤثر فينا ذلك الكلام كما يؤثر رأي الطفل الغريزي في وزنه، ويعجب المنظر الجميل يشاهده، وليس هناك إلا الحقيقة المؤثرة، كما في قول كثير عزة:

خليلي هذا ربع عزة فاعقلا .. قلوصيكما ثم ابكيا حيث حلت

فجماله من حيث إنه يكشف عن عاطفة حزينة ساذجة لا أثر لها في نفس الإنسان، وليس فيه بعد هذا استعارة ولا مجاز.

وكذلك قول الآخر:

أقول لصاحبي والعيس تهوي .. بنا بين المنيفة فالضمار
تمتع من سميع غزار نجد .. فما بعد العشية من عرار (2)
ألا يا حبذا نفحات نجد .. وريا روضه بعد القطار (3)
وأهلك إذ يحل الحي نجدا .. وأنت على زمانك غير زار
ليال ينقضين وما شعرنا .. بأنصاف لهن ولا سرار (4)

فهو شعر بلغ الغاية في الجمال، لأنه يصف جمال الطبيعة في ذلك على أصله، ويظهره في صورة واضحة تجعلنا كأننا نراه لكمال رآه، ولا يحتاج عنا جاملجأ إليه غيره من المحسنات البديعية في أمر التشبيه

(1) الإراك شجر البرد (2) القطار السحاب العظيم القطر (3) السرار الليلة الأخيرة من الشهر

www.alukah.net

تلو التشبيه، وبالاستعارة تلو الاستعارة، ولا يدعوه إلى هذا إلا ما يريد من إظهار قدرته الفنية، فيهرب من الحقيقة إلى الخيال في مقام لا يراد فيه إلا الحقيقة في جمالها الأصلي، لأنه فيه ما يغني عنه الجمال الخيالي

موازنات عامة في الكناية

قال الشريف الرضي يرثي امرأة:

إذا لم تكن إلا الأسنة مركباً ... فلا رأي للمضطر إلا ركوبها

وهذا من سوء الكناية ما لا خفاء به، فإن الوهم يسبق في هذا الموضع إلى ما يقبح ذكره، وهذا المعنى أخذه من قول الفرزدق فسخه وشوّه صورته، فإنه الفرزدق يرثي امرأته فقال:

وجفنٍ سلاحٍ قد رزئت فلم أنح ... عليه ولم أبعثه إليه البواكيا

وفي جوفه من دارم ذو حفيظة ... لوآة المنايا أمرلته ليالياً

وهذا أحسن بديع في معناه، وما كنى عن امرأة ما ت بجمع أحسن من هذه الكناية، ولا أفخم شأناً، فجاء الشريف الرضي فأخذ معناها وفعل به ما ترى، وليس كل من تصرّف في المعاني أحسن في تصريفها، وأبقى هذه الصورة في تأليفها، وقد عكس هذه القضية مع أبي الطيب المتنبي فأحسن فيما أساء به أبو الطيب طريق الكناية فأخطأ حيث قال:

إني على تعفّي بما في خُمرها ... لأعفّ عما في سراويلاتها

كنى بهذا عن الفرج وما دلّ على ذكر الفرج بأقبح أسمائه أحسن منه، فأخذ الشريف الرضي هذا المعنى فأبرزه في أجمل صورة حيث قال:

أحبّه إلى ما تضمّه الخمر والحلى ... وأصدف عما في ضمانة المآزر

فإني بألطف ما يكون من اللفظ، فوصف بيته بالحسن، كما وصف بيت المتنبي بالقبح وأحسن مما جاء من مثل ذلك قول عمر

ابنه أبي ربيعة:

لستُ أنسى قولها ما هَدَّدَتْ :: ذاتُ طَوْقٍ فوقه غُصْنٍ مِنْ عُشَرْ
حين صَمَّمْتُ على ما كَرِهَتْ :: هكذا يفعل من كان غُدَرْ

كنى بقوله - صممت على ما كرهت - عما يدوم من الفاحشة، وفيه مدح لها بالعفة، ولم يفهم من قوله أنها أجابت

وقال قيس بن معاذ العامري المعروف بالمجنون:

لقد كنتُ أعلو حُبَّ ليلى فلم يَزَلْ :: بي التَّقَضِّي والإبرامُ حتى عَلَانِيَا
فلوَّح بالصحة والكتمانة ثم بالسقم والاشتهار تلويحا عجيبا، وقصد المتنبي ذلك بعد أنه قلبه ظهر البطن فقال:

كَتَمْتُ حُبَّكِ حتى منكِ تَكْرِمَةً :: ثم استوى فيك إسراري وإعلاني
لأنه زاد حتى فاض عن جسدي :: فصار يُسْقِمُ جسمي كلُّ إنسانِ

إلا أنه أخفاه وعقَّده كما ترى، حتى صار أحجية يلاقاها الناس

وقال النابغة الذبياني في وصف امرأة:

لَيْسَتْ بسوداءَ حِقْبانًا إذا انصرفتْ :: ولا بيضٍ بجنبَيْ نخلةَ البُرَمَا
كأن إذا لم تكن سوداء العقيقة بيّاعة للبرم كانت في رواية الحسنة والشرف، وإليه ذهب قول الأخطل يصف نساء:

لا يَصْطَلِيهِ دخانُ النارِ ثابتةً :: إلا يعودٍ يَلَنْجُوجٍ على فَحَمِ
فذكر أنهن في وقات تملك وشرف حال

وقال أبو الطيب المتنبي:

فما ليه الطاعنيه بلا لَدْنٍ :: مواضعَ يشتكي البَطَلُ السُّعالا

وقال البحتري:

فأتيحت لأخرى فاضمحلت نضارا :: بحيث يكون اللُّبُّ والرُّعْبُ والجِعْدُ

وبيت البحتري خير من بيت أبي الطيب، وأجمع للصفة المرادة منه

باب التورية والإيهام والمغالطة واللغز

اضطرب علماء البلاغة في أمر التورية والإيهام والمغالطة واللغز، واختلفوا في تعريف الفرق بينها وبينه الكناية والتعريض، لأنها اصطلاحات متقاربة في المعنى، فأبينه رشيق يجري على أن [illegible] داخل في باب الإشارة، والإشارة عنده في كل نوع من الكلام لمحة دالة واختصار وتلويح يُعرف مجملا ومعناه بعيد من ظاهر لفظه، ومن أنواعه عنده التفخيم والإيماء والتعريض والكناية والرمز واللغز والحذف والتورية والتتبيع (١)

وجعل العلوي التورية جنسا عاما يدخل فيه الكناية والتعريض والمغالطة واللغز، لأنه استفاده التورية من قولهم وَرَّيْتُ عنه كذا إذا سَتَرْتَهُ، والمغالطة عنده أن تكون اللفظة الواحدة دالة على معنيين بطريق الاشتراك فيكون له مراد به بالنية دون اللفظ (٢) لأن الوضع في اللفظة المشتركة أن تكون دالة على معنيين فصاعدا على جهة البدلية، فإذا كان المعنيان مرادين عند الملاقاة فإنما هو بالقصد دون اللفظ، وفرق بينه وبين المغالطة واللغز بأن المغالطة تكون بالألفاظ المشتركة، أما اللغز فيكون باللفظ يدل على معنى من جهة لفظه وعلى المعنى الآخر من جهة الحدس لا من جهة اللفظ بحقيقته ولا بمجازه، وجميعه في تعريف الكناية والتعريض ما يتبين به الفرق بينها وبين المغالطة واللغز

وقد ذهب المغالطة قول بعض العراقيين بجواز الإدهان المبارك به أبي طالب، وحكاه على مذهب أحمد بن حنبل [illegible] استعمل الإدهان

(١) العمدة ج١ ص ٢٠٦ — ٢١٥ (٢) الظاهر أن هذا هو التوجيه والله الآتي بيانه

الشافعي، فقال فيه:

فمه يُبلِّغ عني الوجيه رسالةً ∴ وإنه كان لا يُجدي لديه الوسائلُ
تمذهبتُ للنعمان بعد ابن حنبل ∴ وفارقته إذ أعوزتْ المآكلُ
وما اخترتُ رأي الشافعي تديناً ∴ ولكنما تهوى الذي هو حاصلُ
وعمّا قليل أنت لا شك صائرٌ ∴ إلى مالكٍ فاسمع لما أنا قائلُ

فمالك هنا يصلح أن يكون مالك بن أنس صاحب المذهب، ويصلح أن يكون مالك الخازن النار، وهذه مغالطة لطيفة وهذه اللفظة المشتركة

ومنه اللغز قول ابن منقذ في الفرس:

وصاحبٍ لا أمَلُّ الدهرَ صحبتَهُ ∴ يسعى لنفعي ويسعى سعي مجتهدِ
ما إن رأيتُ له شخصاً فذُقْتُ فَقَتْ ∴ عيني عليه افتقاد فاقة الأبدِ

فما هذا حاله منه الكلام ليس فيه دلالة على الفرس، لا منه جهة حقيقة اللفظ، ولا منه جهة مجازه، وإنما هو شيء يعرف بدقة الذكاء، وجودة الفطنة (١)

وذكر ابن قيم الجوزية أن المغالطة مشتقة من الغلط، لأنه فاعل ما يذكر شيئاً يوقع به غيره في الغلط ويوهم ما ليس هو المراد (٢) وهو المشار إليه في الحديث المروي: نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الغلوطات (٣) وهي شرار المسائل، ثم قسمها إلى أقسام: منها أن يذكر الشيء وما يتوهم مقابلاً له، ويسمى هذا مغالطة النقيضة، مثل قول الشاعر:

(١) الطراز ج٤ ص ٦٠ - ٦٧ (٢) الظاهر أنه هذا هو التورية الآتي بعد قليل (٣) في رواية الأغلوطات وهي ما يغالط به عن المسائل كما في اللسان أي يغالط بها العلماء ليزلوا فيهيج بذلك شر فتنة

وما أشياءُ تشريطٍ بمالٍ ∴ وإنه نفقت فالسُّدُّ مأكولُه

أوهم بقوله - نفقت - النفاقة السوق، وهو رواج السلعة، وإنما هو من نفقت الدابة إذا ماتت. وكذلك [illegible] فنا سبعه ذكره

ومن الكناية الخفية منه قول الشاعر:

حُلّوا عن الناقة الحراء أرحُلَكُم ∴ والبازلَ الأصهبَ المعقولَ فاصطنعوا
إن الذئاب قد اخضرّت براثنُها ∴ والناسُ كلُّهم بكرٌ إذا شبعوا

ومنه أن يذكر مع الشيء مثله، ويسمى مغالطة المثل، كقول المتنبي:

يشلُّهم لكل أقبَّ نهدٍ ∴ لفارسه على الخيل الخيارُ
وكلّ أصمَّ يقسِمُ جانباهُ ∴ على الكعبين منه دمٌ ممارُ
يغادرُ كل ملتفتٍ إليه ∴ ولبّتُه لتغلبَ وجارُ

فالتغلب هو الحيوان المعروف، وهو طرف سناده الرمح مايل الصعدة، فلما انتفعه الاسم انه حسنه لاحالة ذكر الوجار، لأنه يصلح الجاجيما، فالليوجار تغلب السناد، وهو بمنزلة جحر الثعلب، وسبب حسنه هذا الفنه ما يحصل للنفس من الالتذاذ بفهم ما فيه غموض، والأول أحسنه لزيادة غموضه ومنه اللغز وهو في الأصل الطريق المنحرف، وسمّي به هذا لانحرافه عن نمط الكلام، ويسمى أيضاً أُحْجِيَة، لأنه الحِجى هو العقل، وهذا النمط يقوّي العقل عند التمرّن والارتياض بالاكتساب حلّه (١)

ثم ذكر بعد هذا نوعاً سماه المحتمل الضدّين (٢) وهو أن يكون الكلام محتملاً للشيء

(١) الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان ص ١٤٢ (٢) هو التورية أو الإبهام الآتي بيانه

شبكة الألوكة www.alukah.net

وضده، مثل قوله تعالى (وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا) يحتمل أنه يكون أراد بقوله (وراءهم) أمامهم، ويحتمل أنه يكون وراءهم وهو يطلبهم، ومنه قول بشار:

خاط لي زيد قباء ... ليت عينيه سواء

فأجاء الناس طرا ... أمديحا أم هجاء

وكان أعور، فلما خاطه لبسه وقال له: إنه شتت لبسته على وجهه، وإنه شئت لبسته على بطانته. فقال له بشار: وأنا أقول فيك شعرا إنه شئت جعلته مدحا، وإنه شئت جعلته ذما (١)

وذكر الخطيب القزويني التورية والتوجيه في علم البديع، وقال في تعريف التورية: هي أن يطلق لفظ له معنيان قريب وبعيد ويراد البعيد منهما، وهذا مثل قوله تعالى (الرحمن على العرش استوى) فإن المراد بقوله (استوى) استولى، ومعناه القريب استقر، ولا بد في التورية من قرينة تدل على إرادة المعنى البعيد، وهي في الآية استحالة الاستقرار عليه تعالى، والفرق في التورية بينه أن يكون المعنيان فيها حقيقيتين أو مجازيتين أو أحدهما حقيقة والآخر مجاز (٢)

وقال في تعريف التوجيه: هو إيراد الكلام محتملا لوجهين مختلفين أي متضادين كالمدح والذم ونحوهما، وهذا هو الذي ذكره ابن قيم الجوزية فيما سبق باسم المحتمل الضدين

(١) الفوائد ص ١٦٥ (٢) الإيضاح ص ٢٥٠ ج ٤ من بلية الإيضاح

وذكر ابن حجة أن التورية يقال لها الإيهام والتوجيه والتخييل، والتورية أولى بالتسمية لقربها من مطابقة المسمى، لأن مصدر ورّى الخبر إذا أضمره وأظهر غيره، كأن المتكلم جعل وراءه بحيث لا يظهر، وهي في الاصطلاح أن يذكر المتكلم لفظا مفردا له معنيان حقيقيان أو حقيقة ومجاز أحدهما قريب ودلالة اللفظ عليه ظاهرة، والآخر بعيد ودلالة اللفظ عليه خفية، فيريد المتكلم المعنى البعيد ويورّي عنه بالمعنى القريب، فيتوهم السامع أول وهلة أنه يريد القريب وليس كذلك، ولأجل هذا سمي هذا النوع إيهاما (١)

أما التوجيه الذي عرفه الخطيب فيما سبق فقد اختار ابن حجة أن يطلق عليه اسم الإيهام - بالباء الموحدة - وقال في تعريفه: هو أن يحتمل الكلام وجهين من المعنى احتمالا مطلقا من غير تقييد بمدح أو غيره، ولكنه ذكر الإيهام قبل هذا وقال في تعريفه: هو أن يقول المتكلم كلاما بعينه يحتمل معنيين متضادين لا يتميز أحدهما عن الآخر، ثم ذكر أنه مختص بالفنون كالمديح والهجاء وغيرهما، ولكنه لا يفهم من ألفاظه مدح ولا هجاء، بل يكون لفظه صالحا للأمرين (٢)

وهذه الأمور تشترك فيما فيما من خصوصه الدلالة واجمالا، والإجمال من أغراض ومقاصد البلغاء، وسبب حسنه ذلك ما يحصل للنفس من اللذة بفهم ما فيه غموض وإبهام، ولهذا قال ابن الأثير في اللغز: إنما وضع واستعمل لأنه مما يشحذ القريحة، ويبعث الخاطر، لأنه يشتمل على معانه دقيقة يحتاج في استخراجها إلى توقد الذهن، والسلوك في مسالك خفية من الفكر، وقد استعمل

(١) خزانة الأدب وغاية الأرب ص ٢٩ (٢) خزانة الأدب وغاية الأرب ص ٢٩٦ ج ١

www.alukah.net

العرب فأسعارهم قليلا، ثم جاء المحدثون فأكثروا منه، وربما أتوا منه بما يكون حسنا، وعليه مسحة من البلاغة، وذلك عندي بَيْنَ بَيْنَ، فلا أعده من الأحاجي، ولا أعده من فصيح الكلام (١)

وقال ابن حجة في التورية: كانت خواطر المتقدمين عن نظم التورية بمعزل، وأقلامهم مع صحتها ما خيمت عليها بمنزل، لكنها ربما وقعت لهم عفوا من غير قصد، لأنهم على كل حال ولاة هذا الشأن، وأرباب هذا الركب، ومن أبيات شعرهم قول بعض العرب:

حملناهم طرا على الدهم بعدما :: خلعنا عليهم بالطعان ملابسا

أراد بالحمل على الدهم تقييدهم، وأراد بالركوب على دهم الخيل. ولكن الإجماع وقع على أن المتأخرين هم الذين سموا التورية وأطلعوها شهورا، وما جوابها لأهل الذوق السليم لما أدار والكؤوس (٢)

ولتعمية الدلالة أغراض أخرى غير تلك الأغراض، فقد يقصد المرء الشخص ليخفي ما يريده على السامع خوفا منه واتقاء له، كما روي أنه النبي صلى الله عليه وسلم قال سائرا بأصحابه يريد أن يلقيه ببعض العرب، فقال: ممن القوم؟ فقال له: نحن من ماء. فأخذ الرجل يفكر ويقول: من ماء، من ماء، ليتظر أي العرب يقال له ماء؟ وهذا من التورية، لأن قوله - ماء - ظاهر في أنه من بعض بطون العرب يقال له ماء، كما يقال هو من الماء، مع أنه مراده أنهم مخلوقون من الماء أي النطفة، فورى عنه بذلك

ومثله قول أبي بكر رضي الله عنه حين سئل عنه النبي صلى الله عليه وسلم في الهجرة

(١) المثل السائر ص ٥٦ ج ٢ (٢) خزانة الأدب وغاية الأرب ص ٤٠، ٤١، ٤٢ ج ١ والغرض من التورية تمام بعضها، فلا يقع في توهم الإنادار، مثل قول شوقي في حافظ إبراهيم:

قالوا يجيء أنظري شعره :: من ذا الذي لم يظم شعر حبيب

من كان توشك فاديه بوالده :: راح العقول وكأس لكل أديب

من هذا؟ فقال: هاد يهديني. فهو يريد أنه يهديه إلى الإسلام، ولكن أوهم السامع أنه يريد هادي الطريق

وقد يكون الغرض من ذلك في التورية تصوير المعنى البعيد بالمعنى الظاهر، كما قال فخر الدين الرازي فيما بعد أنه ذكرها باسم الإبراهام: وهذا إنما يحسن إذا كان الغرض تصوير ذلك المعنى البعيد بالمعنى الظاهر، وأكثر الاستعارات من هذا الجنس، ومنه قوله تعالى ﴿والأرض جميعا قبضته يوم القيامة والسماوات مطويات بيمينه﴾ (١)

وإذا كان التورية والإبراهام والمغالطة واللغز يبحث عنها في علوم البلاغة من جهة ما فيها من خفاء الدلالة فهي من علم البيان قطعا، لأنه علم البيان هو الذي يبحث عن الدلالة وأحوالها، ولا يصح إلحاقها بعلم البديع مع المحسنات البديعية التي يقصد بها تحسين اللفظ أو المعنى، لأن الأغراض التي تقصد لها التورية والإبراهام والمغالطة واللغز ليست هي الغرض البديعي، وهي مع هذا جديرة من الكناية والتعريض، حتى التبست بها عند كثير من علماء البيان، وحتى أدرج بعضهم معها في باب الإشارة، وجعل بعضهم الكناية والتعريض من التورية، فيجب أن تكون كالكناية والتعريض من علم البيان لا من علم البديع، ولا سيما التورية التي تزيد على ذلك باعتبار القرينة فيها كالمجاز والكناية، وقد ذكر الدسوقي في الفرق بينها وبينهما أن الأول يعتبر فيه اللزوم والانتقال من أحد المعنيين إلى الآخر كما يعتبر فيهما، وذكر أن هذا هو السبب في أن الكل من علم البيان (٢)

إثبات أنها من علم البيان

(١) زهرة الأكمام ص ١١٤ (٢) حاشية الدسوقي ص ٢٧٢ ج ٢ من شروح التلخيص

ورد عليه أنه التشبيه من علم البيان وليس فيه انتقال ولا لزوم مثل المجاز والكناية، فلتكملة التورية من علم البيان شرط إذا استلزم فقد ذلك فيرد

أقسام التورية تنقسم التورية إلى ثلاثة أقسام: مبينة، ومجردة ومرشحة، فالمبينة ما ذكر فيه اللازم من لوازم المورّى عنه، وهي أقل الثلاثة في مراتب الفصاحة، ومنها قول البحتري:

ووراة تسدية الوشاح مليّة :: بالحسن تملح في القلوب وتعذب

فقوله - تملح - يحتمل أن يكون من الملوحة التي هي ضد العذوبة، وهذا هو المعنى القريب المورى به، ويحتمل أن يكون من الملاحة التي هي عبارة عن الحسن، وهذا هو المعنى البعيد المورى عنه، وقد تقدم من لوازمه قوله - مليّة بالحسن -

ومثال قول عماد الدين:

أرى العقد في نحره محكماً :: يرينا الصحاح من الجوهر
وتكملة الحسن إيضاحها :: رويناه عن وجه ذاك الزهر
ومنثور دمعي غداة أحمرا :: على آسِ عارضك الأخضر
وبعت رشادي بغيّ الهوى :: لأجلك يا طلعة المشتري

فإنه قوله - في نحره - قرينة على أنه ليس المراد بالصحاح كتاب الجوهري المعروف في اللغة، وإنما المراد بها أسنانه المحبوبة الشبيهة بالجواهر الصحاح

والمجردة هي التي لم تقترن بشيء من لوازم المورّى عنه ولا المورّى به، كما في قوله تعالى (الرحمن على العرش استوى) أي استولى، ومعناها القريب استقرّ، وقد يذكر في التورية للازم المورى عنه مع لازم المورى به، فتلحق بالمجردة أيضاً لتعارض اللازمين فيها،

كقول الشاعر:

ومُولَعٍ بِفَخَاخٍ :: يَمُدُّهَا وشِبَالِي
قالت لي العين ماذا :: يصيد قلت الكرا لي

فالعين تلائم الكرى وهو النوم، والصيد يلائم الكرا لي جمع كركي وهو طائر معروف والمرشحة ما ذكر فيه لازم المورّى به، سميت بذلك لتقويتها بذكره، ولهذا كانت أعلى أقسام التورية، ومنه قوله تعالى (والسماء بنيناها بأيد وإنا لموسعون) فقوله (بأيد) يحتمل الجارحة، وهذا هو المعنى القريب المورى به، وقيل هو من لوازمه على جهة الترشيح (بنيناها) ويحتمل القوة وعظمة الخالق، وهذا هو المعنى البعيد المورى عنه، وقيل إن ذلك من الاستعارة التمثيلية، شُبِّهت فيه هيئة إيجاد الله السماء بقدرته بهيئة البناء الذي هو وضع لبنة على أخرى بالجارحة، ولذلك قيل في قوله تعالى (الرحمن على العرش استوى)

ومثال قول يحيى بن منصور الحنفي:

فلسانك عنا العشيرة كُلَّا :: أنحنا فما لفنا السيوف على الدهر
فما أسلمتنا عند يوم كريهة :: ولا نحن أغضينا الجفون على وتر

فالمراد بالجفون جفون سيوفهم وهو المعنى البعيد لا جفون أعينهم وهو المعنى القريب، وفيه ذكر لازم القريب وهو الإغضاء، وإنما كانت المراد به هنا إغماد السيوف

ذكر فخر الدين الرازي أن التورية - وسماها الإبطال - إنما تحسن إذا كانت الغرض التورية الحسنة والقبيحة

تصوير المعنى البعيد بصورة المعنى الظاهر (١)

(١) نظرية الإيجاز ص ١١٤

شبكة الألوكة www.alukah.net

وذكر ابن حجة أن بعض الأدباء سلم تكلم التورية مذهبه فتقلب غيره وعسعس عليه ظلام التكلف فلم يخرج إلا نزرة، فالشيخ صفي الدين، فإنه كانت غير مذهبه، وحاول إمرارها فأتى بها مغصوبة، ولم يبلغ منه اقتناص شواردها جبائل فكره مطلوبه، كقوله:

وساقٍ من بني الأتراك طفلٍ :: أتيه به على جمع الترافه
أسلكه قيادي وهو رقي :: وأفديه بعيني وهو ساقي

لا شك أنه مراده من التورية ساقي الراح، ولكن أوهم أنه يكون هذا الساقي ساقاً للشيخ صفي الدين، وهو غير ممكن، وتكلف بارد(1)

ثم ذكر أنه حاول بهذه اللفتة التي تناول الشيخ صفي الدين، فأبرزها معلمة الطرفين، وهو بتدئ لم يبلغ من البلاغة أمده، ولم يثبت عند قضاة الأدب رشده، فقال:

يا حسنه ساقٍ يقول إنه ذهبت :: مدائحكم تكفوا بأحداقي
تتمر عنه ساقه لنا وسقى :: فاست حروب الهوى على ساقه

ومن التورية القبيحة للشيخ صفي الدين أيضاً قوله:

إذا ما صدت عنك وجهة تعذبني :: وقد زانني بعد القطيعة والهجر
رأيت بقلبي من تلفيه مرحباً :: وسيف علي في لحاظ أبي بكر

اللفظ الحسن قسم ابن الأثير اللفظ إلى ثلاثة أقسام: حسن، ومتوسط، وقبيح، فالحسن نحو ما سبق عنه ابن منقذ في الفرس، والمتوسط نحو قول بعضهم:

راحت ركابهم وفي أكوارها :: أثقاب من الأنيل الواعد
ما إن رأيت ولا رأيت كهكذا :: حملت حدائقه كأظلام الراكد

يصف قوماً وفدوا على ملك فأعطاهم نحلاً، وكتب لهم بذلك كتاباً، والأنيل

(1) خزانة الأدب وغاية الأرب ص ٢٤٨

الموضع الذي كتب لهم إليه، والعم العظام الرؤوس من النخل، والواعد الأقناء من النخل، فلما حملوا الكتاب إلى أكوارهم فكأنهم حملوا النخل

والقبيح هو البشع البارد الذي لا يستخرج إلا بمسائل الجبر والمقابلة، أو بخطوط الرمل من القبضة الداخل أو القبضة الخارج والبياضة والحمرة وغيرها، ولغة كاد معناه دقيقاً دليل على فرط الذكاء فإني لا أعده من اللغة العربية، فضلاً عن أن يوصف بصفات الكلام المحمودة، ولا فرق بينه وبين لغة الفرس والروم وغيرهما من اللغات وعدم الفهم(1)

وذكر ابن حجة أن اللفظ إنما يحسن إذا سبك في قالب التورية، وسلم من التعقيد والتصحيف والتحريف والعكس والحذف والإبدال، كقول أبي العلاء وإبرة:

سقت ذات سم وقميص فغادرت :: به أثراً والله شافٍ من السم
كست قيصر ثوب الجمال وتبعاً :: وكيسرى وعادت وهي عارية الجسم

كذلك قول ابن حرزذ وخيمة:

ومضروبة من غير ذنب أتت به :: إذا ما هدى الله الأنام أظلت

فلم تسفر فيها الوجوه الحسان الا من وراء ستور التورية(1)

وذكر العلوي أن القرآن والحديث ليس فيهما شيء من الألغاز، لأن الإلغاز إنما يقع في اللفظ الذي تعرف بالحدس والنظر والقرآن خال عن ذلك، لأنه بمعرفة معانيه مقرة علماء العربية بأنه على أعلى طبقات الكلام، وأظهر ما يحتمل غيره، أو ما يحتمل غيره يفتقر إلى

(1) المثل السائر ص ٥٥٧ (2) خزانة الأدب وغاية الأرب ص ٢٩٨ - ٢٩٩

www.alukah.net

بيانه، فأما ما يعلم بالحدس والحدس فلا وجه له في القرآن، وكذلك الحديث[1]
وخالف ابن قيم الجوزية العلوي في ذلك، وذكر سر الألفاظ في القرآن كما جاء
في أوائل السور من الحروف المفردة والمركبة التي دقّ معناها، وبعُد غورها فزلّت فيها
وحارت العقول في معانيها، وكذلك ذكر سرّ فيه قوله تعالى حكاية عن النمرود
لمّا جادل إبراهيم عليه السلام (ألم تر إلى الذي حاجّ إبراهيم في ربّه أن آتاه الله الملك
إذ قال إبراهيم ربّي الذي يحيي ويميت قال أنا أحيي وأميت) على أنه
أتى بإتيانه فقتل أحدهما وأرسل الآخر، ولكنه هذه مغالطة للفظ، لأنه
إبراهيم أراد أن الله يحيي الميت ويميت الحي بغير آلة، لا يحيي ويميت كذلك إلا هو،
فلما غالط النمرود في ذلك حكى الله أن إبراهيم قطع عليه هذه المغالطة بقوله (قال إبراهيم
فإن الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبهت الذي كفر والله لا يهدي
القوم الظالمين) فإذا صح وقوع الألفاظ في القرآن فإنه لا يكون من باب الإحالة
الحروف التي جاءت في أوائل السور، والله تعالى أعلم

---

(١) الطراز ص ٦٩ ج ٢

الصفحة: الموضوع
٢ خطبة الكتاب
٢ علم البيان
- ٢ - تعريف السكاكي له على أنه من علم المعاني - ٤ - رد أنه شعبة من علم
المعاني - ٥ - تعريف الخطيب لعلم البيان - ٦ - نقد تعريف الخطيب - ٧ -
تعريف جديد لعلم البيان - ٨ - الدلالة المتفاوتة في الفصاحة - ٩ -
أبواب علم البيان - نقل أبواب من المعاني والبديع إلى البيان
١١ باب التشبيه
- ١١ - تعريفه وأركانه - الخلاف في أنه مجاز أو حقيقة - ١٢ - مزاياه وأسراره
- ١٤ - لطائفه - ١٦ - أغراضه - ١٨ - التشبيه المقلوب - ١٩ -
موضع قلب الطرفين
٢١ التشبيه الحسن والقبيح
- ٢١ - وجوه حسن التشبيه بمناسب الطرفين - ٢٢ - كون الشبه
به أمرا واقعا - ٢٣ - كون أتم أو أعرف بوجه الشبه - ٢٥ - مراعاة
اللفظ والمعنى - ٢٦ - مناسبة الإرداف والتمام - ٢٨ - مراعاة جريمة
التشبيه
٢٩ أقسام التشبيه وغرائبه باعتبار طرفيه
- ٢٩ - نقد العناية بالتقسيم لذاته - تشبيه المحسوس بالمحسوس - ٣٠ -
تشبيه المعقول بالمحسوس - تشبيه المحسوس بالمعقول - ٣٢ - تشبيه
المعقول بالمعقول - ٣٤ - التشبيه المفرد والمركب - ٣٥ - مغايرة التشبيه
المركب للمتعدد الطرف
٣٩ أقسام التشبيه وغرائبه باعتبار وجهه
- ٣٩ - الوجه التحقيقي والتخييلي - ٤٠ - الوجه المفرد والمركب - ٤٢ -

الألوكة www.alukah.net

الصفحة: الموضوع

-٤٢- مغايرة الوجه المركب للمتعدد - تشبيه التمثيل -٤٤- التشبيه المفصل والمجمل -٤٦- التشبيه القريب والبعيد -٤٧- تفضيل البعيد على القريب -٤٩- موازنات في التشبيه القريب -٥٠- حسن القريب في مقاماته -٥١- انقلاب القريب بعيدا

٥٢ أقسام التشبيه وبراعته باعتبار أداته

-٥٢- أدوات التشبيه -٥٤- تنبيه الطريفة في غير صيغة التشبيه -٥٥- التشبيه المرسل والمؤكد -٥٦- التشبيه البليغ -٥٧- التشبيه الضمني -٥٨- مواضع حذف الأداة وذكرها

٦١ موازنات عامة في التشبيه

٦٥ باب المجاز والحقيقة

-٦٥- أقسام المجاز والحقيقة - تعريف المجاز والحقيقة اللغويين - مزايا المجاز ومقاماته -٦٦- جواز القياس في المجاز

٦٩ المجاز المرسل

-٦٩- تعريفه - مفرده ومركبه - مزاياه -٧٢- علاقاته السببية - المسببية -٧٣- المحلية - الحالية - الكلية - الجزئية -٧٤- اعتبار ما كان - اعتبار ما سيكون - المجاورة -٧٥- وقوعه في الأفعال -٧٦- وقوعه في الحروف - حروف الاستدراك -٧٨- حروف النداء -٨٠- إفادة التغليب بالمجاز المرسل -٨١- التعبير عن المستقبل بضده -٨٢- التعبير عن الماضي بضده

٨٢ المجاز بالاستعارة

-٨٢- تعريف الاستعارة - مزاياها ومقاماتها -٨٥- تقسيمها إلى تصريحية ومكنية: التصريحية -٨٦- المكنية

الصفحة: الموضوع

-٨٧- اختلاف فهم المكنية -٨٨- الموازنة بين التصريحية والمكنية - الاستعارة التخييلية -٩١- الاستعارة في الأعلام -٩٢- الاستعارة التبعية في المشتقات -٩٣- الاستعارة التبعية في الحروف -٩٤- رد ما يُرى أنه تبعية إلى المكنية -٩٥- خلافا لأطائل تخبط

٩٩ الاستعارة الحسنة والقبيحة

-٩٩- وجوه حسن الاستعارة: مراعاة حسن التشبيه -١٠٠- ظهور وجه التشبيه - الخلو من رائحة التشبيه -١٠١- مراعاة اللفظ والمعنى -١٠٣- مناسبة الزمان والمكان -١٠٤- وجه مردود

١٠٧ أقسام الاستعارة وبراعتها باعتبار طرفيها

-١٠٧- الاستعارة في المحسوس والمعقول -١١٠- الاستعارة الوفاقية والعنادية -١١٢- العنادية التهكمية

١١٢ أقسام الاستعارة وبراعتها باعتبار جامعها

-١١٢- الاستعارة في معنى ذاتي -١١٤- الاستعارة في معنى غير ذاتي - الاستعارة القريبة والبعيدة -١١٥- الاستعارة التمثيلية

١١٧ أقسام الاستعارة وبراعتها باعتبار لوازمها

-١١٧- الاستعارة المطلقة - الاستعارة المجردة -١١٨- الاستعارة المرشحة -١١٩- الموازنة بين الثلاث

١٢١ موازنات عامة في الاستعارة

١٢٥ المجاز العقلي

-١٢٥- تعريف المجاز العقلي -١٢٧- علاقاته -١٢٩- الأحوال الحقيقية والمجازية -١٣٠- الخلاف في لزوم الحقيقة العقلية للمجاز العقلي

١٣٣ أقسام المجاز العقلي وبراعتها

-١٣٣- مزاياه على الإجمال -١٣٤- تقسيمه إلى عام وخاص -١٣٤- تقسيمه باعتبار طرفيه

١٣٦ الخلاف في المجاز العقلي

-١٣٦- إنكار عبد القاهر له -١٣٧- إرجاع السكاكي له إلى الاستعارة المكنية - رد الخطيب عليه

www.alukah.net

الصفحة: الموضوع
١٢٩ : باب الكناية والتعريض
-١٢٩- تعريف الكناية -١٤١- تعريف التعريض -١٤٣- مزاياهما
وأغراضهما
١٤٤ الكناية الحسنة والقبيحة
-١٤٤- مراعاة المقام في الكناية -١٤٦- مراعاة اللفظ والمعنى -١٤٧-
مراعاة الإيماء والإشارة
١٤٩ أقسام الكناية وشرائطها باعتبار المكنى عنه
-١٤٩- الكناية عن الموصوف -١٥٠- الكناية عن الصفة -١٥١-
الكناية عن النسبة -١٥٢- نقد تقسيم القدماء
١٥٢ أقسام الكناية وشرائطها باعتبار علاقتها
-١٥٢- الكناية الخاصية والعامية -١٥٥- الكناية القريبة والبعيدة
١٥٧ تفاوت مراتب المجاز والكناية والحقيقة
-١٥٧- القول بأنه التفاوت في الإثبات -١٥٨- استثناء بعض
صور التشبيه -١٥٩- تحقيق أنه في الإثبات والمثبت -١٦٠-
إنصاف الحقيقة
١٦٢ موازنات عامة في الكناية
١٦٥ باب التورية والإبهام والمغالطة واللغز
-١٦٥- تعريفها وتمييزها عن الكناية والتعريض -١٦٩- أغراضها
ومقاماتها -١٧١- إثبات أزيد من علم البيان -١٧٣- أقسام
التورية -١٧٤- التورية الحسنة والقبيحة -١٧٤- اللغز
الحسن والقبيح -١٧٥- وقوع اللغز في القرآن والحديث

شبكة الألوكة
www.alukah.net